

فصل المقال وارشاد الضال

في توسل الجهال

تأليف الاستاذ المفضل

والاسد الجوال رب النقد والتحرير الشيخ أبي بكر خوير
الكتبي بمكة المكرمة

طبع على نفقة الوجيه "فاضل الحاج عبد القادر التلمساني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك ونستعينك ونستهديك ولا نعبد احدا غيرك ولا نرجو سواك ولا نتوكل الا عليك ولا نستعين الا بك ولا ندعو سواك ولا نلجأ الا اليك . ونصلي ونسلم على من ارسلته باخلاص العباداة والعبودية والذب عن حماك في الالهوية وعلى آله واصحابه والتابعين وتابعهم واحزابه يا مجيب دعاء المضطرين يا امان الخائفين من رجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكرك ومتابعة رسولك والجهاد في سبيلك اما بعد فقد بلغني ورود رجل من افاضل الهند الى ثغر جده المحروس فوصلت الى محله للسلام عليه حبا في العلم واهله فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه من توسع الناس فيه قولا وفعلا فظهر من هذا الرجل تعصب جاهلي وقال ان آدم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه ورد في تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) انه قال «يا رب بحق محمد اغفر لي» فكتبنا له عبارات الامام ابن جرير والامام ابن كثير في تفسير تلك الآية (وسياتي نصها) فأرسل إلينا رسالة بامضائه

هكذا (المفتي احمد حسن الجالندري) وقد افرغ في هذه الرسالة ما في
 جمبته وأعرب عن وقاحته وجهله المركب وما عنده من فاسد التعصب
 وبرهن باحثة وتراكيب عباراته على عدم معرفته كلام العرب واضاف
 الى عجمته وجهله الكذب وسوء الادب - يقول فيها: صديقي وخليلي الشيخ
 عبد القادر: ثم يتهم ميرا لنا بتمسكها بطي التجارة كانه يرى استحالة اجتماعها
 مع العلم، الم يعلم بان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاطون اسباب
 التجارة والحرفة ولم يمنهم الصفق في الاسواق من الصلاة مع رسول
 صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه حتي نوه الله بشأنهم في القرآن العزيز
 بقوله (رجال لا تلهيهم تجارة) الآية لو كان من اعظمهم ثروة عبد الرحمن بن
 عوف الذي اختاره فيمن انتخبه للخلافة والشورى وقد اتجر كثير من
 العلماء والأئمة وتعاطوا أسباب الحرفة وطلب المعيشة وقد ذكر بعضهم أن
 الغنى مما يزيد في العقل، وقد أجمع أهل العلم على أن العلم ليس بكثرة الرواية
 وانما هو نور يضعه الله في قاب من شاء كما قاله الامام مالك وكما في الحديث
 «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» . نعم ينبغي ان يعير العالم اذا تاجر
 بعلمه وجعله شبكة يصطاد به الدنيا او يخدم به اغراض الحكماء حتى يحصل
 مرتبا او لقبا مثل (خطاب شمس العلماء) نعم ينبغي ان يعير العالم اذا
 تصدر (للفقيا) وهو ليس اهلا لها وتجاسر على القول بما لا يعلم واسرع
 في الجواب ولم يرقب رب الارباب فقد قال صلى الله عليه وسلم «أجراً كم
 على الفتيا أجراً كم على النار» وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان
 السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وأعظم الناس جرأة
 على الله واقتراء على رسوله القصاصون الذين نصبوا أنفسهم للوعظ على

جهل مثل هذا الرجل فليس عندهم من العلم والحياة من الله ما يمنهم من انطلاق ألسنتهم في القول بما يكون بل يهرنون بما لا يعرفون ليستميلوا العامة ويصرفوا وجوه الناس اليهم ملبسين عليهم بزي اهل العلم والتصوف ورأس مالمهم لوقاحة بمحض الدعوى وصلافة الوجه وقد اتفق فيما مضى أن جالس الامام أحمد بن حنبل والامام يحيى بن معين في حلقة قصاص وهو يقول حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن معين وصار الامامان يلتفت أحدهما على الآخر ويتول كل منهما صاحبه هل سمعت هذا الحديث هل حدثت به فيقول لا فجاء إلى ذلك القصاص بعد فراغه من الوعظ فقال يا رجل اتنا فلان وفلان وكلانا لم نسمع بما حدثت فكيف ترويه عنا فقال كنت اظن ان لكما عقلا اني رويت عن سبعين رجلا اسمه احمد بن حنبل وسبعين رجلا سمه يحيى بن معين اتظنان ان ليس في الوجود غيركما فتركا وانصرفا يتعجبان من وقاحته فهم اصل كل بلية في الاحاديث الموضوعة وقد قبيض الله رجلا في كل زمان ومكان لنصرة دينه باحقاق الحق وابطال الباطل وكشف حال المدلس العاقل فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين لما أخذ الله الميثاق على اهل العلم لا يدينونه للناس ولا يكتُمونه وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار » وقال صاحب الوهبانية :

من الدين هتك السر عن كل كاذب وعن مدع ما ليس فيه ويشهر
فلهذا وجب علينا الاتداب للرد على هذه الرسالة فكتبنا هذه العجالة
وسميناه (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال) ونسأله تعالى
التوفيق والهداية الى اقوم طريق

مقل من

اعلم ان مدار التوحيد على منتهى التعظيم القلبي بأنواع الخضوع الذي هو العبادة والعبودية كما هو متضمن معنى (الاله) فانه هو ما تاله القلوب محبة ورجاء وخوفاً وتوكلًا ولهذا ورد في الحديث القدسي «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» (١) وحماية له وصيانة لحماه حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اطرائه روى له الفداء وسدد ذرائع كثيرة من مظان الشرك وانذرنا بأنه اخفى من ديب النمل . وقد بايع نفرا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لا حدثنا ولثيه . ومنع من تعليق الأوتار والتأثم وأمر بقطعها وبعث رسوله كما في السنن وغيرها وقال من تعلق شيئاً وكل إليه ونهى عن قول الرجل ماشاء الله وشئت وقال لمن قال له ذلك: اجعلتنى لله ندا ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار وقال لأبي واقد الليثي وأصحابه ممن من مسألة الفتح لما قالوا لله اجعل لنا ذات الواط كما لهم ذات انواط «قام والذي نفسى بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى: اجعل لنا الها كما لهم آلهة» ونهى عن الصلاة عند القبور وان لم يقصدها المصلي ولعن من فعل ذلك واخبر أنهم شرار الخلق عند الله ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه

(١) اوردنا هذا الحديث للاستشهاد بمعناه الصحيح وان لم يصح رواية قال شيخ الاسلام ابن تيمية في جواب من سأل عنه: فهذا مذكور في اسراء ثيليات ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى وسعني قلبه الايمان بي وبحقى ومعرفتي ولا من قال والله يخل في قلوب الناس فهذا من النصاري خصوصاً ذلك بالمسيح وحده

غيره حسماً لمادة الشرك وقطعاً لوسائله وسداً لذرائعه وحمايةً للتوحيد وصيانةً لجانبه

وبيان ذلك هو ان التعظيم مما يستدرج صاحبه الى الغلو بطبيعته ويجري فيه مجرى الدم ويسري في عروقه من حيث لا يدري والطبع العامي نزاع الى المحسوسات نافر عن المعقول الذي يعقله العالمون الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلّة ولسكوته الى المثال عدل من اهل الملل الى التصوير في الكتب والهياكل كاليهود والنصارى ثم لمنانية خاصة وناهيك شاهداً على ما قلته أنك لو ابدت صورة النبي صلى الله عليه وسلم او مكة والسكبة لعمامي او امرأة لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقييل وتغفير الخدين والتمرغ كأنه شاهد المصور وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة وهذا هو السبب الباعث على ايجاد الاصنام باسمي الاشخاص المعظمة من الانبياء والعلماء والملائكة مذكرة امرهم عند الغيبة والموت مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى القوت الى أن طال العهد بعاملها ودارت القرون والاحقاب عليها ونسيت اسبابها ودواعيها وصارت رثماً وسنة مستعملة . ثم داخلهم اصحاب انواميس من بابها اذ كان ذلك أشد انطباعاً فيهم فأوجبوه عليهم . وهكذا وردت الاخبار فيمن تقدم عهد الطوفان وفيمن تاخر عنه وحتى قيل ان كون الناس قبل بعثة الرسل أمة واحدة هو عبادة الأوثان هكذا ذكره الحكيم البيروني في تاريخ الهند (١) ثم ذكر ما كان لاهل التوراة واهل الهند والروم واليونان . وقد حكى الله في

(١) قال في خطبته: وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل

فيه لإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق وإنما كتاب حكاية

كتابه شيئا كثيرا من احوال المشركين من العرب وغيرهم وانزل ثلثه في التوحيد فعلى المؤمن المنصف أن يمعن نظره فيه وليتدبر حال الجاهلية مع مراجعة تفسير الامام ابن جرير وابن كثير والبنو قيس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ثم لينظر ما جاء في السنة من سد كل ذريعة فاذا عرف ذلك تبين له عذر المانعين من التوسل بالانبياء والصالحين بعد موتهم سيما اذا روي ما يترتب على قول المجوزين له من فتح باب الفتنة والبدع الجمة وادخال ما ليس من التوسل في باب من كل طامة مما ينافي التوحيد على خط مستقيم حتى صار الشرك الصراح يسمى توسلا عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين، ومن انحازهم من المدلسين او من اخذته العزة بالاثم عن قبول الحق من المكابرين، وكفاه عقوبة ضميرة الذي يبكته كل حين . فليت الجهال اقتصروا في التوسل على كل ما يفيد الوساطة مع توجيه الطلب الى الله سبحانه ولكنهم نسوا وتوجهوا الى الاموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا باسمائهم عند الملهمات . والاشراف على التهلكات فزادوا في الطنبور نفمة على كفار قريش معتقدين فيهم النفع والضر معلوءة قلوبهم تعظيما وحباً لهم وخوفا ورجاء

فاورد كلام الهندي على وجهه وأضيف اليه مالدوني من مثله لتعريف المقاربة بينهم فان فلاسفتهم وان نحروا التحقيق فانهم يخرجون فيما اتصل بعوامهم عن رموز نجاهم ومواضعات ناموسهم ولا اذكر مع كلامهم كلام غيرهم إلا ان يكون للصوفية اولا حدا صناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم في الحلول والاتحاد اه

ونذروا لهم النذور وقربوا لهم الذبائح ولا ذوا بالقبور ووقفوا عندها خاضعين منكسرين الرؤس واضعين الأكف على الأكف خاشعين . ولا يعتبرون بمن وقف معهم في ذلك المقام من الوثنيين المعروفين عندهم من البانيان والمجوس في الهند فقد صرفوا جملة عبادات لغير الله مع دعائه الذي هو مخ العبادة كما في الحديث ولقد بلغ التعظيم للاموات في قلوب الجهال فوق الغلو إلى حد نسوا الله فيه . يخلف احدهم بالله كاذباً ولا يخلف بالولي الذي يعتقد ، خوفاً من العطب حتى ادى هذا الحال عند بعض المتأخرين من القضاة تخليف من طلب منه اليمين فوق قبر الولي الذي يعتقد فيمسكونه المصحف فوق الثابوت ويخلفونه به . فياليت أولئك القوم يقولون بكرامة الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه ، بدلاً من تصريحهم أن ذلك توسل وقربة وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك وليتهم يكتبون رسائل في تقييح ذلك أوليتهم يسكتون ويستحيون ولا يكابرون ويتركون التأليف في تحسين ذلك والحث عليه والدفاع عنه والتشويق إليه بمدائح شعرية ، وانشاد مقامات شيوخية ، كأنهم يرون أن الدين لا يتم إلا به وأن تعظيم الانبياء والصالحين لا يكون إلا بذلك وكأنهم يرون أن العامة تحتاج إلى زيادة ارشاد إليه وحث عليه وكأنهم لا يشعرون إلى الآن بما حل بالإمة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا لا ينظرون إلى ما يكتبه خطباؤنا الاذكياء في المجالات العلمية كأنهم يضربون في حديد بارد أو يخاطبون أمواتاً فإلى الله المشتكى

ولو ترك بعض أولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلاً عن الغلو الذي هم فيه لوجدوا أمامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع من ذلك . قال

في طوابع الانوار شرح تنوير الابصار مع الدر المختار للشيخ محمد عابد السندي الحنفي ولا يقول يا صاحب القبر يا فلان اقض حاجتي أو سلها من الله أو كن لي شفيعا عند الله بل يقول يا من لا يشرك في حكمه أحدا اقض لي حاجتي هذه وحيدا كما خلقتني اهـ

وقال في التناوي البزازية من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفرا هـ وقال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي لما صعبت التكاليف على الجهال والطعام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكمالها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقييلها وتخليفها وخطاب الموتى للحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا أو اخذ تربتها تبركا أو افاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى هـ قال الامام الشوكاني في الدر النضيد في التوحيد واذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من انهم يقبرون على ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت السننهم بما أنطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مسع الله وتارة استقلالا ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري ما هو الشرك واذا لم يكن كفرا

فليس في الدنيا كفروها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها المنع مما هو دون هذا بمر احمل وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه سير فارجم اليه ان شئت . وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه سيف الله على من كذب على أولياء الله : هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبلات وبهم تشكف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا منهم : أبدال وتقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس ، وعليه المدار بلا التباس ، وجوزوا لهم الذبائح والندور ، وأثبتوا لهم فيها الاجور ، قال وهذا الكلام فيه تقريظ وإفراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الائمة ، وما أجمعت عليه الامة ، وفي التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ثم قال فأما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى (أإله مع الله - ألا له الخلق والامر - لله ملك السموات والارض) ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكمل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا واحياء واماته وخلقا وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه كقوله تعالى (هل من خالق غير الله - والذي تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وذكر آيات

في هذا المعنى ثم قال فقوله في الآيات كلها «من دونه» أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره إلى أن قال إن هذا القول وخيم وشرك عظيم إلى أن قال وأما القول بالتصرف بعد المات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال جل ذكره (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت) الآية وقوله (كل نفس ذائقة الموت) (كل نفس بما كسبت رهينة) وفي الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فإنه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده وهو لاء المحدثون يقولون أن الأرواح مطلقة متصرفة (قل أأنتم أعلم أم الله) قال وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات فهو أعظم من المغالطة لأن الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها أوليائه وأهل طاعته لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة صريم ابنة عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني وقال وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد فهذا أفبح مما قبله وأبدع لمصادرة قوله (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أأله مع الله - قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) وذكر الآيات في هذا المعنى ثم قال فإنه جل ذكره كرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المنفرد بإجابة المضطر وأنه المستغاث به لذلك كله وأنه القادر على

دفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك فاذا تبين هو جل ذكره خرج غيره من ملك وني وولي قال والاستغاثه تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال او ادراك عدو او سبع ونحوه كقولهم يا آل زيد يا لاسلمين بحسب الافعال الظاهرة بالفعل واما الاستغاثه بالقوة والتأثير او في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف العرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطالب فيها غيره قال واما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجاهل وينادونهم ويستجدون بهم فهذا من المنكرات فمن اعتقد ان غير الله من نبي وولي او روح او غير ذلك في كشف كربته او قضاء حاجته تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطر فهو على شفا جرف من السعير واما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فيحاشا لله ان تكون اولياء الله تعالى بهذه المثابة . فهذا ظن أهل الأوثان كما أخبر الرحمن (هو لا شفعاؤنا عند الله ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) أي اتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر) الآية فان ذكر ما ليس من شأنه الذم ولا دفع الضر من نبي او ولي وغيره على وجه الامداد منهم اشرك مع الله تعالى اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره قال واما ما قالوه ان منهم ابدالاً ونقباء وأوتادا ونجباء وسبعين وسبعة واربعين واربعة والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار (قال الهندي) ورد علي كتاب من خليلي وصديقي الفاضل الجليل الشيخ عبدالقادر التلمساني في تفسير قوله تعالى (فلقى آدم من ربه كلمات فتاب

عليه) جاء بأقوال مستدل بها على أن آدم عليه السلام ما توسل في دعائه
بسيد الرسل صلى الله عليه وسلم وما كانت الكلمات (اللهم بحق محمد اغفر
لي خطيئتي الخ)

أقول هذا صورة الكتاب الذي قد مناه الى هذا الرجل بنصه
بيان ماورد في قوله تعالى - (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)
في التفسير الكبير للعلامة الفاضل محمد ابن جرير الطبري عن ابن زيد تابعه
ابو زهير ومجاهد وقتادة والحسين (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ابن عباس (أي رب ألم تخلقني بيدك قال
بلى ، قال أي رب ألم تنفخ في من روحك قال بلى ، قال أي رب ألم
تسكني جنتك قال بلى ، قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى
قال أرأيت ان انا تبت وأصلحت أراجعي انت الى الجنة قال بلى) وعنه
أيضا (رب ان انا تبت وأصلحت قال اني اذا أرجعتك الى الجنة) - أبي
العالية (يارب أرأيت ان انا تبت وأصلحت فقال الله اذا أرجعتك الى الجنة)
فهي من الكلمات ومن الكلمات أيضا (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) - اسباط عن السدي (قال رب ألم
تخلقني بيدك قيل له بلى ، ونفخت في من روحك قيل له بلى ، قال
وسبق رحمتك غضبك قيل له بلى ، قال رب هل كنت كتبت علي
هذه قيل له نعم ، قال رب ان تبت وأصلحت هل أنت راجعي الى الجنة قيل
له نعم ، قال الله : فاجتبه ربه فتاب عليه وهداه) - سفيان عن عبد العزيز بن
رفيع عن عبيد بن عمير تابعه ابن سنان وفطيم وخلافه (قال آدم يارب
خطيئتي التي اخطأتها شيء كتبت علي قبل ان تخلقني أو شيء ابتدعته من

قبل نفسي قال بل شيء كتبت عليه قبل ان اخلقك قال كتبت عليه علي فاغفره
 (لي) - عن معاوية ر الله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك استغفر
 وانتوب اليك تب علي انك انت التواب الرحيم - عن مجاهد
 (الله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر
 لي انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني
 ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك
 وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتاب علي انك انت التواب الرحيم -
 وعنه أيضاً (قال أي رب أنتوب علي ان تبت قال نعم فتاب عليه وبه) اه
 بحروفه

قال الهندي « تعجبت عجباً لان الشيخ مع كماله كيف ترك اصول
 الدين وقواعد الدين المتين التي عليها مدار الشريعة الفراء والملة البيضاء
 وترك الحديث المرفوع في تفسير الكلمات وجاء بأقوال العلماء المختلفة
 سند ذكر الحديث ان شاء الله تعالى »

أقول : ما أورده علي فهو وارد على الامام بن جرير الطبري وينبغي
 ان يتعجب منه كما تعجب مني فانه ترك ذلك الحديث المرفوع واني لم أزد
 على ان نقلت كلام ذلك الامام الذي هو التفسير بالمأثور حقيقة عن الصحابة
 وسلف الامة وأئمتها وتركه لذلك الحديث يشعر بعدم اعتباره صالحاً لتفسير
 هذه الآية والطمع فيه وناهيك بمثل هذا الامام الذي أجمع أهل العلم على
 أن تفسيره اعظم التفاسير قال ابو حامد الاسفرائيني لو سافر رجل الى الصين
 في تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً وقد ترك ذلك الحديث ايضاً الامام البغوي
 فلم يرج عليه في تفسيره وكذلك الحافظ ابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير

المحققين كما يأتي بيان ذلك وانه لا عبرة بنقل من يجمع بين الفث والسمين
فيكون كحاطب ليل او جارف سيل فالحجة بما ثبتت عن الصحابة وعن سلف
الامة وأئمتها فاذلك قدمنا اليه ذلك الكتاب وقول الهندي وجاء بأقوال
العلماء المختلفة فيه تمويه فقد سمعت نص ما كتبناه له من اقوال الصحابة
والتابعين وأئمة التفسير ولا خلاف بينها اذ يمكن اجتماعها كلها ومن
القواعد المقررة في مصطلح الحديث ان قول الصحابي في حكم المرفوع
اذا لم يكن مثله مما يقال من بادي الرأي او من الاسرائيليات وستأتي
حقيقة ذلك الحديث المرفوع فهذا الرجل لم يعلم حكم هذا الحديث من
الصحة او الضعف او الشذوذ لانه لم يعرف اسناده ولم يطلع على ما قيل
فيه ولم يدر أن الحديث الصحيح ما شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به
فانهم قالوا ان الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير
شذوذ ولا علة وأنه لا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة او موضوعة
لا تثبت عند أهل العلم والحديث من أئمة التصحيح والترجيح

قال الهندي « مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ
وما فهم وما درس » : أقول انظر الى الجهل كيف يعمل بصاحبه وكيف
يطلق لسانه ويقل حياءه قال الهندي : « لو نظر في الكتب لوجد أن أقوال
العلماء لا تعارض الحديث المرفوع » : أقول لو عقل هذا الرجل وفهم ما انظر
فيه من الكتب وأنصف لما فاه بتلك الجملة التي دلس فيها فسيأتي أنه
ليس كل حديث مرفوع حجة فإن منه الضعيف الذي يقدم عليه قول
الصحابي اذا صح فانه في حكم المرفوع كما تقدم وقد علمت أن في قوله
أقوال العلماء تدليساً فان فيها من أقوال الصحابة فتأمل :

قال الهندي « وأيضاً ان الشيخ ما طالع التفاسير كلها وكتب
 الاحاديث كلها ولا لم ينكر التوسل المسنون لاسر المخزون »: أقول
 اننا لم ننكر التوسل الوارد في السنة بل نقتصر على ما ورد في الاحاديث
 الصحيحة ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ماصح
 عنهم فتتوسل الى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبالأعمال الصالحة التي
 انا ونخيارنا الصالحين من الاحياء بطلب الدعاء منهم والتأمين على دعائهم
 كما نفعل في الاستسقاء وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف كما سيأتي
 تفصيل ذلك من أنه لا دليل على جواز التوسل بالانبياء والصالحين بعد
 مماتهم وما ذكره المجوزون من الاحاديث اما ان يكون ضعيفاً لا يصلح
 الاستدلال أو أنه دليل عليهم لا لهم كحديث استسقاء عمر بالعباس
 رضي الله عنهما واما قول الهندي السر المخزون ومثله في آخر الرسالة فلم
 تصل اليه افهامنا القاصرة ولا رأينا في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع
 وكأنه مما يدرك بالذوق ولا تهي بحقه العبارات كما قال الشاعر

يلوذون عند العجز بالذوق ليهتم	يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد
نقول لهم ما الذوق قالوا مثاله	عزيز فلا بالشتم يدرك والحد
ففسرهم بالكشف والذوق مشعر	بأنهم عن مطلب الحق في بعد
ومن يطلب الانصاف يدلي بحجة	ويرجع احياناً ويهدي ويستهدي
نعم ذكر بعضهم ان عباد القبور	والانفس المفارقة يرون ان تلاق
قلب الزائر وروحه بروح المزور	سبب لنيل مقصوده ونحصيل نصيب
مما يفيض على روح ذلك المزور	كما ذكره الفارابي وغيره من عباد الكواكب
والانفس المفارقة قال في اغاثة اللغاف	ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها

على صورة الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هيكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وضم يخصه وعبادة تخصه ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب السرا المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب الى ابن خطيب المري تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها وكل هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمر لهم طريقة الا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون اليه ويمكفرون عليه ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها فوضع الضم انما كان في الاصل على شكل معبود غائب فجعل الصنم على شكله وهيته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه والا فمن المعلوم ان عاقلا لا يثبت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد انه الله ومعبوده اه فمن آمن النظر في ذلك فهم في الجملة ذلك السر المخزون المضمون به على غير أهله

قال الهندي بعد تقسيمه الحديث الى مرفوع وموقوف ومقطوع «والحديث المرفوع حجة على الاطلاق دون الباقي» : أقول هذا أكبر دلائل علي جهل هذا الرجل وأنه من القصاصين الذين يتكلمون بكلمات العلماء فلا يخفى على من نظر في مصطلح الحديث أن حكم الحديث المرفوع يختلف باعتبار المتن والاسناد فينقسم إلى صحيح وحسن وضعف كما أنه ينقسم باعتبار الاسناد الى متصل ومرسل ومنقطع ومعضل ومعلق فليس كل مرفوع حجة ومقبولا الا ما قبله الأئمة بعد البحث عن أحوال روايته نعم قد اتفق المحدثون على أن جميع ما في الصحيحين من المتصل المرفوع صحيح بالقطع فتأمل .

قال الهندي « وأيضاً ثبت عند أهل العلم والدين أن الاثبات

بالذكر لا يدل على نفي غيره والشيخ ما جاء في دليله ومكتوبه الا بالقول المحض خاليا عن الادلة الشرعية : أقول هذه العبارة ركيكة لا يكاد يفهم معناها ولكن نحن نترجمها فقصوده أن اثبات أمر لا يدل على نفي غيره أي أنه لا يقبل ما اثبتناه في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عن ربه عن ائمة التفسير والحديث من الصحابة والتابعين والحفاظ المسندين ولا يعتبر اثبات ذلك نافيا لما ظفر به من الحديث المرفوع في تفسير تلك الكلمات بتوسل آدم بحق محمد صلوات الله وسلامه عليها وقد فاتته ان الاثبات اذا كان على وجه الحصر يدل على نفي غيره وكذا اذا قامت قرينة عليه وقد قررنا ان ترك ائمة التفسير الذين عليهم المول فيه يشعر بعدم اعتبار ذلك الحديث طعنا فيه وهذا الرجل نفسه قرر في اول كلامه ان تركنا لذلك الحديث المرفوع انكار له وتمجب منه كما سمعته كل ذلك من قرينة المقام فشن علينا الغارة واقام القيامة وقال مثل هذا لا يعمل احد من علماء الدين غير هذا الشيخ فتأمل :

قال الهندي : « اعل الشيخ يكون في وقت الكتابة في شغل البيع والشراء ناسيا على قواعد العلماء يا ايها الشيخ اللبيب علم التجارة لا يحصل به علم الدين ولو بلغت سن اليقين فاستحيوا من الله العظيم لا تستحيوا من الناس » :

أقول لا يستحيل اجتماع العلم مع التجارة كما تقدم بيانه في صدر هذه العجالة وكما هو موجود في الناس بكثرة والله الحمد

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس بالرجل وما أحسن الحياء من الله نسئله التوفيق سبحانه وما أحسن هذه النصيحة

لو عمل بها الناصح فخير له ان لو استحي من الله واشتغل بالتعلم بدلا من التعليم والارشاد على جهل فلو جاء عندنا مع اشتغالنا بالتجارة لعلمناه اللسان العربي واصلحنا عقيدته وعلّمناه علم الدين

قال الهندي « ان شاء الله تعالى انا ابين هذه المسئلة يعنى مسئلة التوسل بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة بتوفيق الملك العلام صاحب الجود والانعام » :

أقول ستعلم مناقبة تلك البراهين والحجج وما رقت من جملة في الحجج فدع عنك الكتابة است منها ولو سودت وجهك بالمداد قال الهندي: « والمعجب ان الشيخ من اي لفظ لمجاهد وقتادة وغيرهما رحمهم الله فهم المحصر وما يدري ان القاعدة تقررت عند الاصوليين ان الاثبات بالذکر لا يدل على نفي الغير صدق من قال شعر

من مذهبي حبّ الديار لاهلها وللناس فيما يعيشون مذاهب
أقول هذا مكرر مع ما قبله كما تقدم مع الجواب عليه وكأنه يترجم بهذا البرهان القاطع اعجابا به فتأنيق في ايراده ولكن في غير محله مع احتياجه الى ترجان محله ثم استشهد عليه بببيت لا يلائمه معجبا بنفسه فسبحان مانع العقول وقاضح الجهول

قال الهندي : « لعله ما نظر في مدة حياته الى الآن الى تفسير المدارك ولا الى تفسير البيضاوي وتفسير عزيزي وغيره)

أقول نظرنا في تفسير المدارك للمنسي وفي تفسير البيضاوي فلم نجد فيها ذلك الحديث المرفوع واما تفسير العزيزي فهو بالفارسي وغير كامل وقد وقفنا على غير هذه التفاسير المتداولة بين الناس بما لم تحظ به المطابع

فندخله سبحانه العلم النافع ونحمده على توفيقه والهداية الى اعتقاد السلف
الصالح :

قال الهندي : « ها انا أقول فاستمع بالسمع الشهير خالياً عن التوجيب
متمسكاً بالقول السديد ان التوسل بالانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء
العظام ثابت بدلائل شتى » : أقول اعلم ان مبنى العبادة على الامر والاتباع
لا على الهوى والابتداع والتوسل الذي جاءت به السنة وتواتر في الاحاديث
هو التوسل والتوجه الى الله بالاسماء والصفات وبالأعمال الصالحات
كالادعية الواردة في السنة كقولهم اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا
انت وكالتوسل بدعاء الانبياء وشفاعتهم في حياتهم كتوسل الصحابة بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء وتوسلهم بالعباس ويزيد بن مينا و
وتوسل الاعشى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته له وكما ثبت في
الصحيحين من قصة الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة
فتوسلوا الى الله بصالح اعمالهم فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الامور المشروعة
وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة) وأما التوسل بذوات المخلوقين فلا دليل عليه ولا قاله
احد من الصحابة والتابعين ولم ينقل عن السلف الا ما يناقض ذلك وقد
نص غير واحد من العلماء على ان هذا لا يجوز ونقل عن بعضهم الجواز
فذكر الحنابلة في باب الاستسقاء انه يباح التوسل بالانبياء والصالحين ونقل
عنهم الكراهة وروى عن الامام احمد جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم
وروى عن الامام مالك الكراهة كما أفاده الشيخ زروق في قواعد التصوف
وقال العز ابن عبد السلام لا يجوز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر الحنفية في متونهم في باب الحظر والاباحة ان قول الداعي المتوسل
بمحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشر الحرام مكروه كراهة تحريم
وهي كالحرمان في العقوبة بالنار عند محمد وقد علموا ذلك بقولهم لانه لاحق
للمخلوق على الخالق قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن
البكري وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنتني من كلام الساف والائمة
والعلماء هل يجوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء او فعل ذلك احد
منهم فاجدته ثم وقفت على فتيا للفقهاء ابن محمد ابن عبد السلام أفتى بانه
لا يجوز بغير النبي صلى الله عليه وسلم وأما النبي فجوز التوسل به ان صح
الحديث في ذلك او ذكر القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي
يوسف لا يجوز ان يسأل الا به انتهى كلامه وذكر ابن القيم رحمه الله عن
ابي الحسين القدوري نحو ذلك فقال قال القدوري قال بشر بن الوليد
سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به
واكره ان يقال بمعاقد العز من عرشك او يقول بحق خلقك وهو قول ابي
يوسف قال ابو يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا اكره ذلك
واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشر الحرام
قال القدوري المسئلة بحقه لا يجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق فلا يجوز
يعني وفاقا وقال البلدجي في شرح المختار ويكره ان يدعو الله الا به فلا
يقول اسئلك بفلان او بملائكتك او انبيائك او نحو ذلك لانه لاحق
للمخلوق على الخالق انتهى وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية
عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به والدعاء المأذون
فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) اهـ

قال الألوسي وانت تعلم ان الادعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فتقول بتقدير مضاف اي بدعاء او شفاعه نبيك كما سمعت او نحو ذلك كما ستسمع ان شاء الله تعالى ومن ادعى النص فعليه البيان اه وجنح الشوكاني الى رأي المجوزين قائلًا ان التوسل الى الله باهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله فاذا قال القائل اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار مقام به من العلم اه وليته اقتصر على النص كما هي عادته رضي الله عنه فان المقام خطر جدا فيكم تولد من ذلك من البدع والخروج الى الاشراك وأما قوله انه توسل بأعمالهم الصالحة الخ فقيه نظر فان نعمها لهم كما سيأتي بيانه من أنه لا بد من سبب حاضر ظاهر بين السائل والمستول به فتأمل قال بعض فضلاء الهند بعد سياق كلام الشوكاني وأحوط الأقوال وأصح الأفعال القصّر على الوارد ان صح لان أكثر الخلق لا يعلمون ما يدخل في هذا من الشرك ككف والشرك أخفى من ديب النمل كما ورد بذلك الحديث اه وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية بان التوسل بمجرد ذوات الانبياء والصالحين غير مشروع وانه سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب بخلاف من كان طالبا بالسبب المقتضي لحصول المطلوب كالطالب منه سبحانه بدعاء الصالحين وأعمال السائل الصالحة فلا بد من سبب بين السائل وبينهم يوجب مقصوده وذلك بامرين : إما بطاعته واتباعه لهم وأما بدعائهم له وشفاعتهم له فجرد سؤاله في دعائه بهم من غير طاعته واتباعه لهم ولا دعاء ولا شفاعه منهم له فلا ينفعه

وان عظم جاه احدهم عند الله تعالى من المنازل والدرجات فانه امر يعود
نفعه اليهم ولزيادة ايضاح هذا المقام ننقل ما كتبه شيخ الاسلام في كتاب
الاستغاثة في الرد على ابن السبكي قال رحمه الله واما قول القائل ان
المتوسل انما هو سائل الله تعالى راج له عالم ان النفع والضريده لا شريك
له وانما توسل اليه بمن يحبه الله تعالى اشرف منزلته عنده ليكون اقرب
الى الاجابة وحصول المراد كطلب الدعاء من الرجل الصالح فيقال توسل
العبد الى الله تعالى بما يحب لفظ مجمل فان اريد بما يحب الله تعالى ان
يتوسل به اليه فهذا حق والله تعالى يحب ان يتوسل اليه بالايمان والعمل
الصالح والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم ومحبه وطاعته
وموالاته فهذه ونحوها هي من الامور التي يحب الله تعالى ان يتوسل بها
اليه وان اريد انه يتوسل اليه بما يحب ذاته وان لم يكن هناك ما يحب الله
تعالى ان يتوسل به فهذا باطل عقلا وشرعا اما عقلا فلانه ليس في كون الشخص
المعين محبوبا له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته اذا لم يكن مني
ولا منه سبب تقضى به حاجتي فان كان منه دعاء لي او كان مني ايمان به وطاعة
له فلا ريب ان هذه وسيلة وأما نفس ذاته المحبوبة لله تعالى فاي وسيلة
لي فيها اذا لم يحصل لي السبب الذي امرت به فيهل ولهذا لو توسل
به من كفر به لم ينفعه والمؤمن به ينفعه الايمان به وهو اعظم الوسائل
فتبين ان الوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل الايمان بالرسول وطاعتهم
وقول القائل للرجل ادع لي توسل بدعاء الصالحين وهو من جملة الاسباب
النافعة كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأما المشروع فيقال ان العبادات
مبناهما الاتباع لا الابتداع وليس لاحد ان يشرع من الدين ما لم يأذن

الله به الا ترى انه ليس لاحد ان يصلي الى قبره صلى الله عليه وسلم
ويقول هو أحق بالصلاة اليه من الكعبة وقد ثبت عنه عليه الصلاة
والسلام في الصحيح انه قال لا تجلوا على القبور ولا تصلوا اليها ومن
لم يعتصم بالكتاب - والسنة ضل وأضل وليس في قوة كل أحد ان
يفهم أسرار العبادات ومنافعها ومضار ما ينهى عنه من ذلك فعليه ان
يسلم للشريعة ويعلم انها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد
وتفكيكها واذا رأى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع
علم ان ذلك اضرر فيها راجح على نفعها ومفسدة راجحة على مصلحتها اذ
الشارع حكيم لا يهمل المصالح فان قال انا اذا توسلت بذاته انما بعلمي
المعلق به وذلك انه حي له وتعظيمي اياه توسلت به وهذا مما
يحببه الله تعالى مني (قيل) حبلك وتعظيمك له الذي هو من الايمان به
وهو يدعوك الى زيادة الايمان به وطاعته وهو الذي يحبه الله تعالى منك
وأما حبك وتعظيمك الذي لا تقصد به الا قضاء حاجتك الدنيوية فهذا
لا يحبه الله تعالى منك فاذا كان الداعي لم يؤمن به ولم يطعمه بل سأل الله
تعالى به وتوسل به وأحبه وعظمه ليقضي حاجته بالتوسل به لم يكن ذلك
مما يحبه الله عز وجل بالضرورة ولم يأمر الله تعالى بذلك بل لم يأمر الله
تعالى الا بالايمان به والطاعة وهذا اذا حصل كان أعظم الوسائل للعبد عند
الله عز وجل وان لم يحصل فلا وسيلة للعبد عند الله تعالى اه - وقال رحمه
الله في بعض فتاويه وهذا « أي ما قصده النبي صلى الله عليه وآله من حسم
مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين » ما يظهر
به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والرجل الصالح في حياته وبين

سؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك انه في حياته لا يعبد أحد بحضوره فاذا كان الانبياء صلوات الله عليهم والصالحون احياء لا يتركون أحدا يشرك بهم بحضورهم بل يؤمنون عن ذلك ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام (ما قلت لهم الا ما امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنتم أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال « أجعلني لله ندا ما شاء الله وحده » وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية (وفينا رسول الله يعلم ما في غد) قال دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين وقال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله « ولما صفوا خلفه قبا ما قال لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا وقال أنس لم يكن شيء أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يملكون من كراهته لذلك ولما سجد له معاذناه وقال انه لا يصلح السجود الا لله ولو كنت أمرا أحدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولما أتني علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الاطمية أمرت بتحريقهم بالنار فهذا شأن انبياء الله وأوليائه وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الارض والفساد والفتنة بالانبياء والصالحين واتخاذهم اربابا والاشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي ممانهم كما أشرك بالمسيح وعزير فمذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله في مماته

ومغيبه ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا
 تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولا
 يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك للكوف اه فظهر
 لك مما قررناه وما نقلناه ان المشروع في التوسل بالانبياء والصالحين انما هو
 في حياتهم بدعائهم كما نقول للرجل الصالح ادع الله لنا وكما حصل في
 استسقاء الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ثم من بعده بعمه
 العباس ثم بالخيار من الناس في كل زمان ومكان الى يومنا هذا واما
 الميت فلا يطلب منه دعاء ولا غيره ولا يتوسل به في دعاء ولا غيره
 وستسمع الجواب عن تلك الدلائل الشتى التي ذكرها الهندي دليلا ولو
 سلم ان هناك دليل يشتمل على راتحة التوسل بذات المخلوقين فلا يصار
 اليه ولا يقاس عليه ويحاج عنه بأنه على حذف مضاف أو أنه مؤول أو
 يؤتى به كما ورد ويكون من التشابه فان السنة كالقرآن فيها التشابه والمحكم
 فيرد متشابهها الى المحكم فكلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناقض ولا
 يضرب بمضه بمضا ويوافق القرآن ولا يناقضه وهذا أصل عظيم يجب
 مراعاته ومن أهمله وقع في أمر عظيم وهو لا يدري فقها الله وإياكم
 في الدين وجعلنا من عباده المخلصين ممن يعرف الرجال بالحق لا الحق
 بالرجال ويميز القائل بالمقال لا المقال بالقائل

(قال الهندي الاول بالقرآن المجيد والفرقان الحميد فانظر الى
 تفسير الدر المنثور للعلامة جلال الدين السيوطي : ثم ذكر ذلك الحديث
 المرفوع :

أقول ثبت الجدار ثم انقش واعرف الحديث ومثله في وفي حال

راويه فليس كل صرفع حجة كما انه ليس كل مستدير رغيفاً فلو كان ذلك الحديث صحيحاً لقدمه جميع المفسرين على جميع الاقوال في تفسير تلك الكلمات ولو كانت للصحابة ولم يهل ذكره ائمة التفسير الممول عليهم ولكنهم رأوه من الاسرائيليات واجمعوا على ضعف راويه فتركوه ورموه ظهرياً فان الحديث الصحيح عندهم هو ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة وعلى فرض صحته فهو خبر آحاد لا يفيد اليقين بل يفيد الظن عند من صح عنده ولا تقوم به حجة على من قامت عنده الأدلة على عدم صحته ثم الحافظ السيوطي لم يلتزم الصحة في تفسيره الدر المنثور وقد اشتهر بالاكثار وقلما سلم مهادر حتى قال فيه بعضهم انه كحاطب ليل ربما كانت الافعى في خطبه وقد اتهمه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع وذلك لا ينقص من جلالة قدره وفضائله الجمّة فالسعيد من عدت سيئاته وحفظت غلطاته

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه وكيف احتج هذا الهندي بهذه الآية التي تحمل جملة وجوه في تفسيرها كما ذكرها الجلال السيوطي أما يعلم ان الدليل اذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال فمن اي لفظ من الفاظ ذلك الحديث فهم الحصر في تفسير تلك الكلمات بها بانه لا يجوز تفسيرها الآية حتى يجعلها دليلاً قاطعاً لا احتمال فيه . نقول له ذلك كما قال لنا : من اي لفظ قتادة ومجاهد فهم الحصر :

قال الهندي : « قال (اي السيوطي) في تفسير الكلمات قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اذنب آدم الذنب الذي اذنبه رفع

رأسه فقال اسمك بحق محمد ان غفرت لي فاوحى الله اليه ومن محمد فقال
 تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله
 الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد أعظم قدرا ممن جمعت اسمه
 مع اسمك فاوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك
 - هذا حديث حدثه من المحدثين - الطبراني - والحاكم - وابو نعيم - والبيهقي -
 اقول الذي في الدر المنثور خمس الخامس ابن عساكر يرويه جميعهم عن
 عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده عن عمر بن الخطاب يرفعه وليس
 عندي من كتب هؤلاء الحفاظ الا معجم الطبراني الصغير واسناده فيه هكذا :
 عن محمد بن داود بن اسلم الصدي المصري عن احمد بن سعيد المدني القهري ،
 عن عبد الله بن اسماعيل المدني عن الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده
 عن عمر بن الخطاب وبعد سياق المتن قال لا يروى عن عمر الا بهذا الاسناد
 تفرد به احمد بن سعيد اه قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن اه وقال
 بعضهم صححه الحاكم اه وفي تصحيحه نظر فليس كل ما صححه مقبولا قال
 المدراسي في (كشف الاحوال في نقد الرجال) ان عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
 ضعيف باتفاق وكذا في تقريب التهذيب قال العلامة احمد بن ناصر التميمي ،
 في جوابه على رسالة الفاضل اليمني محمد بن احمد الحفطي سنة ١٢١٧ م انصه :
 واما قول القائل فقد اخرج الحاكم في مستدركه وصححه ان اهتم توسل بالنبي
 صلى الله عليه وسلم فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال احمد
 ابن حنبل ضعيف وقال ابن معين ليس حديثه بشيء وضعفه ابن المديني جدا
 وقال ابو داود اولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي ضعيف وقال
 ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول : ذكر رجل لملك حديثا

فقال من حدثك فذكر اسنادا له منقطعا فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح عليه السلام وقال ابو زرعة ضعيف وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث، واهيا وقال ابن حبان كان يقاب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك وقال ابن سعد كان كثير الحديث ضعيفا جدا وقال ابن خزيمة ليس هو مما يحتج أهل العلم بحديثه وقال الحكم وابو نعيم روى عن ابيه احاديث موضوعة وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه . فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو كما تسمع وقال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري واما قول القائل قد توسل به الانبياء آدم وادريس ونوح وايوب كما هو مذکور في كتب التفسير وغيرها فيقال امثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها باجماع المسلمين فان الناس لهم في شرع من قبلنا قولان احدهما انه ليس بحجة الثاني انه حجة مالم يأت شرعا بخلافه بشرطان يثبت ذلك بنقل معلوم كاخبار النبي صلى الله عليه وسلم فاما الاعتماد على نقل اهل الكتاب او نقل من نقل عنهم فلا يجوز باتفاق المسامحين لان في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الانبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا لها اسناد معروف عن احد من الصحابة وانما تذكر مرسله كما تذكر الاسرائيليات التي تروى عن لا يعرف وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضوع على ما نقل في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمنا عليه وبيننا بطلانه ولو نقل ذلك عن كتب

ووهب ومالك بن دينار ونحوهم ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجزأن محتج به لأن الواحد من هؤلاء وإن كان ثقة فثقة ما عنده من كتاب من كتب أهل الكتاب أو يسمعه من بعضهم فإنه بينه وبين الأنبياء دهر طويل والمرسل عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين ومراسيل أهل زماننا عن نبينا صلى الله عليه وسلم لا تقبل عند العلماء مع كون ديننا محفوظا محروسا فكيف بما يرسل عن آدم وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا وقد نقل أبو نعيم في الحلية أن داود عليهم السلام قال يارب أسألك بحق آبائي عليك إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال «يا داود أي حق لا بآئك علي» فإن كانت الاسرائيليات حجة فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الأنبياء وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الاسرائيليات انتهى فبين رحمه الله أنه لم يصح في هذا شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له اهـ

وأما ما رواه ابن حميد الرازي من الحكاية المنسوبة إلى مالك رحمه الله مع أبي جعفر المنصور وفيها أنه سأل مالك فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبله وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فقد رد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا أن إسنادها مظلم منقطع مشتمل على من ينهم بالكذب وقالوا ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيئا بل روايته عنه منقطعة ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة ونسبه بعضهم إلى الكذب

فقال يعقوب بن شعبة السندوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير وقال حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة وقال الجوزجاني رديء المذهب غير ثقة وقال الرازي عندي عنه خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف وقال ابن الأزهري سمعت اسحاق بن منصور يقول أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن اسحاق المطار بين يدي الله أنهما كذابان وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ اهـ

قال الهندي « بهذا علم أن التوسل بالانبياء محبوب عند الله بحاج به الدعاء هو شيء علمه الله تعالى لا دم عليه الصلاة والسلام »

أقول بما قد مناد علم أن ما ذكره لا يحصل به العلم بهذه النتيجة ولو كان التوسل محبوبا عند الله لكان محبوبا عند رسوله وأصحابه والتابعين وتابعيهم ولكثرت في كلامهم وكان شائعا في تلك القرون الفاضلة ولتوفرت الدواعي على نقله واستفاض استفاضته لم يحتج معها إلى إيراد حديث معلول شاذ أو ما في معناه احتمال وقد سمعت نصروص الحنفية في المنع من إطلاق لفظة بحق أنبيائك وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الخارج إلى الصلاة « أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي الخ فرواه عطية العوفي وفيه وهن قال الحفاظ ابن حجر ضعيف الحفاظ مشهور بالتدليس القبيح وعلى تقدير ثبوته فهو من باب التوسل باسماء الله وصفاته فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم وحق الانبياء أن يقربهم ويتفضل بما يخصهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به وذلك من أفعال الله فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه كما قال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وكما في حديث

«ما ذى حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذبهم» ولا يصالح أن يجعل مافى هذا الحديث من باب التوسل بالاعمال الا قوله واسألك بحق ممشاي لان الممشى الى الطاعة امثالاً لا محمل عمل طاعة وهو سبب في حق السائل

(قال الهندي وهذا التوسل والاستمداد من آدم كان قبل ولادة نبينا صلى الله عليه وسلم الوف سنين كيف لا يجوز بعد الولادة وبعد ارتحاله عليه الصلاة السلام من دار الدنيا الى دار البقاء ورد في الحديث الصحيح) «الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم» : أقول انظر الى هذه النتائج المترتبة بعضها على بعض استنباطاً من ذلك الحديث المرفوع فله دره ما اقدره على ايراد هذه الحجج الساطعة والبراهين القاطعة وكيف سوى بين حاله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وحاله بعد انتقاله عنها بحديث «الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم» فهل يقول انها متساويان في كل شيء اظنه لا يقول ذلك لما يترتب عليه من الاحكام الكثيرة كما لا يخفى على من له ادنى بصيرة فان حياة الانبياء في قبورهم برزخية فوق حياة الشهداء لا تقتضي لوازم الحياة الدنيوية من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك وتلك الصلاة ليست بحكم التكليف بل بحكم الاكرام لهم والتشريف من قبيل الاحوال البرزخية كسؤال الملكين ونعيم الميت وعذابه مما لا يرى وان كان المبت صرثياً فأحوال البرزخ لا تقاس على أحوال الدنيا واما كونه صلى الله عليه وسلم من ليلة المعراج على موسى فراه يصلى فذاك أمر خارق للعادة وقد تقدم بعض الكلام على حياة الانبياء في المقدمة من ما قاله الامام صنع الله الحلبي الحنفى وقد كثر البحث فيها عند بعض المتأخرين وهم في غنية عنه

فإنهم يشبثون التصرف الاولياء بعد مماتهم . معتقدين أنهم أقوى حالا مما كانوا في حياتهم لصفاء أرواحهم وتخلصها من كثافة أجسامهم .
لقد أسمعت لو ناديت حيا . ولكن لا حياة لمن تنادي .

وحيث قد ظهر الفرق للمؤمن المتشرع بين حياته صلى الله عليه وسلم
الديوية وحياته البرزخية فإنه يمنع من الطلب منه صلى الله عليه وسلم ومن
غيره ممن كان في البرزخ لأنه عبادة لا تليق لمن اتصف بالعبودية ولا
يتوسل به صلى الله عليه وسلم ولا بغيره قداء به وبصحابته من بعده بل
يتوسل بالايمان به وبمحبتته ومتابعتهم ثم انظر الى قول الهندي (والاستمداد)
اي طلب المدد واكثر ما يستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظمين
فيقال استمداد منهم ويقال (مدد يا شيخ) وأظنه لم يسر الى الناس الا من
الهند فأنهم يقولون للمعاون رجل من رجال الحكومة (مدد كار) فيخرج
هذا وأمثاله من التوسل الى الاستمداد ومن الاستغاثة بالغير الى الاستغاثة
من الغير وبالجملة فإنهم يطلبون من غير الله من الأموات ويسمون ذلك
الطلب توسلا واستغاثة . وكلامنا الآن في التوسل بالانبياء والصالحين الى
الله بتوجيه الغالب منه سبحانه وتعالى

٤ - قال الهندي : والثاني اخرج الترمذي بسند صحيح أن عثمان بن حنيف
قال ان رجلا أعمى جاء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ذهاب
بصره قال ادع الله لي ان يعطيني البصارة قال النبي صلى الله عليه وسلم لو
شئت أدع الله ولو شئت فاصبر والصبر خير لك قال الرجل يا رسول الله
ادع الله قال النبي صلى الله عليه وسلم توضحاً وأحسن الوضوء ثم قل اللهم اني
أسألك وأنوجه اليك بنبيك محمد بنبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي

في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في» ورد في: الحديث انه لما مسح يديه على وجهه صار أبصر من الاول ﴿

أقول الذي في سنن الترمذي ما نصه: حدثنا محمود بن غيلان نا عثمان بن عمر نا شعبة عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فامر به ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بذيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه اتقضى لي اللهم فشفعه في هذا الحديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث ابي جعفر وهو غير الخطي اه وفي نسخة أخرى اني توجهت به الى ربي وقد رواه النسائي في اليوم والليلة والبيهقي وابن شاهين في دلائلهم كلهم عن عثمان بن حنيف وساقوه بقريب من سياق الترمذي وليست فيه لفظة يا محمد وقد ساقه الهندي بما سمعت من التحريف والكذب شأن القصاصين وقد سبقت الاشارة الى الجواب عنه بانه من باب التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما في الاستسقاء فان قوله أسألك وأتوجه اليك بذيك محمد على حذف مضاف اي بدعائه وشفاعته كما يقتضيه السياق قال العلامة المناوي سأل الله اولاً أن يأذن لنيه ان يشفع ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم ملتسماً بشفاعته له ثم كرّ مقبلاً على ربه ان يقبل شفاعته اه قال في اقتضاء الصراط المستقيم فلم ان ذلك التوسل الذي ذكره هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب

منه شيء لا دعاء ولا غيره وكذلك حديث الاعشى فإنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه فهذا يدل على أن النبي شفيع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته وإن قوله أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل إليك بنبينا فلنقط التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد ثم قال يا محمد يا رسول الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضيها اللهم فشفعه في فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا نبي الله هذا هو أمثاله نداء ويطلب به استحضر المنادى فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب انتهى

وأما ما روي من أن عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث علم هذا الدعاء لمن كان له حاجة عند عثمان زمن امارته بمده صلى الله عليه وسلم وعسر عليه قضاؤها وفعله فقضاها فذلك رأي من عثمان بن حنيف قصد التبرك بالفاظ النبي صلى الله عليه وسلم من غير قصد استغاثة في الشفاعة ان صحت تلك الرواية فإنه في سندها مقالاً بل قال بعضهم ان امارات الوضع لاثمة عليها وقد علمت ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به ولو رواه العدل الضابط عن مثله . ومن احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصصرص الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومن بعدهم مع انه ليس فيه دعاء بل هو توسل بدعاء الحاضر والدعاء أخص من النداء فليس كل نداء دعاء إذ الدعاء نداء عبادة متضمن للسؤال والطلب

من المنادي لجلب نفع أو دفع ضرر أو بقرينة المقام كأن يقول من أشرف على هلاك كافر مثلاً يا الله فهذا دعاء المضطر فكيف يدعو المضطر غير الله فيقول يا فلان في ذلك المقام والله يقول (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) وكيف يحتاج العالم بذلك الحديث على جوارحه وقد سمعت ما قررناه وكيف يكابر بأن هذا القائل لا يعتقد النفع والضرر فيمن ناداه وهو يعتقد بانه يسمع صوته ولو كان في الشرق والمنادي بالغرب وأنه يعلم ما نزل به من الشدة وما حل به من الكربة أفلا يكون نافعاً لمن يعتقد فيه انه يعلم علم الغيب (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ونبينا مع كونه سيد ولد آدم وحياً في قبره لا يعلم الغيب وهو لا يعلم الغيب في الدنيا فكيف بعد وفاته كما هو مبسوط في كتب الفقه فكيف يقول هذا العالم ان ذلك مجاز اسنادي وان قرينته الاسلام وهو لا يمكنه انكار ما سبق ثم يقرأ كل يوم في الكتب الفقهية ويقرر في باب الردة الفاظاً يكفر الناطق بها بمجرد التلفظ بها من غير اعتبار المجاز وتلك القرينة التي صارت له قرينة فهو اما جاهل أو متجاهل بما صرف ذلك القائل يا فلان من العبادات الخاصة به تعالى الى غيره والحال ما ذكر فوالله ان العامي الذكي ليدرك ذلك بفطرته السليمة لو رجع اليها وخلي بينه وبينها فقد حكى ان شامياً من العوام كان في سفينة لعبت بها الامواج واشرفت على الفرق فقام الناس يصيحون وينادون من أعماق قلوبهم يارفاعي يا جيلاني يا بدوي فرفع ذلك الشامي طرفه الى السماء وقال (يا سيدي غرق غرق الناس نسيوك يا سيدي غرق غرق الناس ما يعرفوك) وقد قص الله عن كفار قريش بأنهم اذا كانوا في الفلك وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين واذا نجاهم الى البر أشركوا

على عكس القصة السابقة قال شيخ الاسلام ابن تيمية من جوز ان يطلب من المخلوق كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الاصنام فانهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله كما قال (قل أرأيتم ان اتاكم عذاب الله أو اتاكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين* بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) فبين سبحانه انه اذا جاء عذاب الله أو اتت الساعة لا يطلبون الا الله في كشف الشدائد وجاب الدوائد وقال (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه) قال وقد وقع في كثير من ذلك ما وقع من العامة وغيرهم اهـ

بقي هنا حديث آخر غير حديث الاعمى يحتاج به المغررون للجهال على جواز دعاء الميت والغائب وهو الوارد في اذكار السفر «اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان الله حاضرا سيحبسه» فيجاب عنه بانه حديث ضعيف وذكر بعض العلماء انه حديث منكر فانه من رواية معروف بن حسان وهو منكر الحديث كما قاله ابن عدي ومع ذلك فهو لا يدل على دعاء الميت والغائب لانه قال فيه ان الله حاضرا سيحبسه فالمنادي حاضري وكله الله بهذا الامر وهو من عباده الذين لا تعلمهم وما يعلم جنود ربك الا هو وكل عاقل يتيقن انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بمناذات من لا يسمع ولا يعين من ناداه فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة المانعين من صرف الدعاء لغيره تعالى ولا يعرف عن أحد من أهل العلم والایمان الذين لهم لسان صدق في الامة ولم تأت به شريعة من الشرائع بل المنقول عن جميع الانبياء ما يرده ويبطله كما في الكتاب العزيز لقال العلامة ابن القيم رحمه الله ومن أنواعه أى الشرك طلب الحوائج

من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن استغاث به أو سأل أن يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده أم وقد أطلنا الكلام في هذا المقام لأن هذا الهندي واضرا به يسمون ذلك توسلا وينصبون أنفسهم للدفاع عنه تمحلا عاملمهم الله بعد له كما جنوا على التوحيد وأهله أم

(قال الهندي والثالث روى الدارمي عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف فعملوا فطروا حتى نبت العشب وسمن الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)

أقول نعم ذكره الدارمي في باب ما أكرم الله نبيه بعد موته . قال في مجمع البحار كوى إلى السماء أي منافذ جمع كوة بفتح كاف وضمها قيل سببه أن السماء لما رأت قبره بكّت وسال الوادي من بكائها لقوله تعالى (فابكت عليهم السماء) وقبل استشفاع بقبره صلى الله عليه وسلم أم فهذا من مشكل الآثار المتشابهة التي لا يحتاج بها فان الاستسقاء المأثور جار بالمدينة المنورة من عهد صلى الله عليه وسلم إلى هذا العهد مع أن عائشة كانت في الحجرة ويدخل إليها من الباب وبعد ذلك بني الحائط الآخر ولم يذهب أحد من الصحابة إلى القبر النبوي يستسقي عنده ولا به ولو كان لنقل واستفاض ولم يحتاج إلى حديث واحد فيه ما فيه . وقد روى خالد بن دينار عن أبي العالية كما ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير

عن ابي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا ابو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فكتبه بالعربية فانا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثل ما أقرأ القرآن قال خالد فقلت لابي العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه مساوينا القبور كلها مع الارض لئلا يسميه عن الناس لا يذبشونه فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له (دانيال) فقلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعرات من قفاه ان لحوم الانبياء لا تباليها الارض ولا تأكلها السباع فلو كان الاستسقاء بقبور الانبياء ثم بمن يليهم جائزاً او فضيلة لُنصب عليه علماً أولئك المهاجرون والانصار ولم يعموا قبره لئلا يفتن الناس به لما أعلموا من استسقايتهم به واكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلائف التي خلفت بعدهم فما زالت الصحابة تسد الذرائع كما في هذه القصة او كما فعل عمر رضي الله عنه من قطع الشجرة التي ببيع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك التابعون لهم باحسان درجوا على أسيلهم فقد كان عندهم من قبور الصحابة عدد كثير في الامصار فما منهم من استغاث بها ولا دعا عندها ولا استسقى بها ولا استنصر (ولو) كان لتوفرت المنواعي على نقله (بعد) كتابتي لما تقدم رأيت في نعمة منهاج التأسيس للعلامة محمود شكري الألوسي ما نصه بعد ذكر عائشة رضي الله عنها والجواب

ان يقال لا دليل في هذه الحكاية على ما قصده العراقي من جواز نداء غير الله تعالى لانه لا نداء فيها بل فيهم ان الله رحم أهل الارض لما كشفت عن مرقده صلى الله عليه وسلم بحيث يصله القطر من المطر كما ان من خواص اجسام الانبياء جميعا اذا كشفت نزول المطر عليها ولا يقتضي مثل ذلك نداءهم ودعائهم في الشدائد وكذلك من خواصها عدم أكل الارض إياها ولا يقتضي ايضا دعاءها ولو جاز استسقاؤه صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة لما عدل عمر الى العباس كما سبق قريبا هذا كله لو سلمنا صحة مثل هذه الحكاية واذا لم تصح فالمنع أظهر والجواب أحق اه ثم رأيت في اقتضاء الصراط المستقيم ما نصه: واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجذبوا امرأتهم ودهتهم نواذب غير ذلك فها جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به ولم يستسق عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها انها كشفت عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم لينزل المطر فانه رحمة تنزل على قبره ولم تستسق عنده ولا استغاث هناك (وهذا) لما بنيت حجرته على عهد التابعين بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم تركوا في اعلاها كوة الى السماء وهي الى الآن باقية فيها موضوع عليها شمع على اطرافه حجارة تمسكه وكان السقف بارزا الى السماء وبني ذلك لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة وظهرت النار بأرض الحجاز التي اضاءت لها اعناق الأبل يبصرني وجرت بعدها فتنة الترك ببغداد وغيرها ثم عمر المسجد والسقف كما كان وأحدث حول الحجرة الحائط الخشب ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت العتبة على السقف وأنكره من كرهه على انا قدر وبناني مغازي

محمد بن اسحاق من زيادات يونس بن بكير عن ابي خلدة خالد بن دينار
ثم ساق القصة السابقة فتأمل قال المراغي وفتح الكوة عند الجذب سنة
اهل المدينة يفتحون كوة في اسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين
القبر الشريف والسماء قال السهمودي وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه
الشريف اه اي والكوة مسدودة

(قال الهندي: والرابع روى البيهقي وابن ابي شيبة بسند صحيح عن مالك
الدار وكان خازن عمر قال اصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
استسقي لامتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انت عمر فاقرئه السلام فاخبره فانهم يستقون وقل عليك الكيس الكيس فاتي
الرجل عمر رضي الله عنه فاخبره فبكى عمر وقل يا رب ما آلاؤنا ما عجزت عنه:
اقول في هذه الرؤيا المنامية حجة على هذا الرجل وأمثاله فانه صلى الله
عليه وسلم لم يقل أنا استسقي لكم بل أمر عمر ان يستسقي بالناس لكن قال
بعضهم ان الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث فاتي به بعض المدلسين في
الحديث بدل رجل ناسباله الى البيهقي وابن ابي شيبة ثم قال وليس الاستدلال
بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت
بها الاحكام لا مكان اشتباه الكلام على الراي وانما الاستدلال بفعل بلال
بن الحارث في الية نظمة فانه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتيانه
لقبر النبي صلى الله عليه وسلم وندؤله وطابه ان يستسقي لامته دليل على
ان ذلك جائز في الله العجب كيف انفرد هذا الصحابي بعمله هذا عن
سائر الصحابة ولم لم يتواردوا على قبره صلى الله عليه وسلم وياتجؤا اليه
(م ٦ - فصل المقال)

في جميع منازلهم من المصائب فعلى هذا البعض اثبات شبه ذلك الى بلال
ابن الحارث بالسند الصحيح ^{رواه} ابن صبح فلنا فيه كلام اما الماروي عن البيهقي
وابن أبي شيبة فهو فعل رجل مجهول كما ذكره الهندي وغيره لا يعرف اسمه
فضلا عن حاله والمدنية في ذلك الزمان يردها اهل الآفاق من العرب
والمعجم والحاضرة والبادية وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم
ولو كان هنا غير هذا الرجل المجهول لأورده هذا وأمثاله ممن كلفوا
انفسهم الانتصار للقبورين قال شيخ الاسلام ابن تيمية: وأما الميت من
الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسئل لناربك
ولم يفعل هذا احد من الصحابة والتابعين ولا أمر به احد من الائمة ولا
ورد فيه حديث بل الذي ثبت في الصحيح أنهم لما أجذبوا زمن عمر رضي
الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجذبنا نتوسل اليك بنبينا
وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاستسقى فاستسقى ولم يجيشوا الي قبر النبي صلى الله
عليه وسلم قائلين يا رسول الله ادع لنا واستسق لنا ونحن نشتكي اليك مما اصابنا
ونحو ذلك لم يفعل ذلك احد من الصحابة قط بل هو بدعة ما انزل الله بها
من سلطان اهـ

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم في بحث شبه المجوزين قصد القبور
للدعاء عندها من بعض المتأخرين بعد المائة الثانية، مانعه: فهذه
الآثار اذا ضمت الى ما قدمناه من الآثار علم كيف كان حال السلف في
هذا الباب وأن ما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم ولا
يدخل في هذا الباب ما روى ان قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى
الله عليه وسلم او قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان يسمع

الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك فهذا كله حق ليس مما نحن فيه .
والامر اجل من ذلك واعظم وكذلك ايضا ما يروى ان رجلا جاء الى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الجذب عام الرأادة فرآه وهو
يامره ان يأتي عمر فيامره ان يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من
هذا الباب ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم
وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم
او لغيره من امته حاجته فتعطي له فان هذا قد وقع كثيرا وليس مما نحن
فيه وعليك ان تعلم ان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره لهؤلاء
السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل صلى الله
عليه وسلم ان احدكم ليس اني المسألة واعطيه اياها فيخرج بها يتأبطها ناراً
فقالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يا بون الا ان يسألوني وبأبي الله لي البخل
وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضرب
ايمانهم كما ان السائلين له في الحياة كانوا كذلك وفيهم من اجيب وامر بالخروج
من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل
على حسن حال السائل فلا . فرق بين هذا وهذا انتهى

٨ قال الهندي: « روى الحافظ ابو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه .

ان أعمر اياً جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بثلاثة أيام فبكى
بكاء شديداً حتى خر ثم اخذ ترربة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعله على
رأسه وقال يا رسول الله اطعنا ما بلغتنا من كلام الله وحفظناه وفيه (ولو
انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
تواباً رحيماً) وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر انه قد غفر لك !

أقول كان ينبغي عليه أن يجعل هذا دليلاً خامساً مستقلاً فأخطأ في درجة الدليل الرابع مع ما فيه من تحريف الرواية عما نقله بعضهم وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي: إن هذا خبر منكر وموضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض ثم تكلم على بعض رجاله ثم قرر معنى الآية أحسن تقرير كما سيأتي. وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتيبي بإسناد بزيادة يدين! ويرويها بعضهم عن غيره بألفاظ مختلفة قال الحافظ المذكور في الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة مما تقوم بها حجة وإسناده مظلّم مختلق ونقظها مختلف أيضاً ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على المطالب ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلهما عند أهل العلم اه قال في اقتضاء الصراط المستقيم بعد ذكر حكاية العتيبي واستحباب طائفة من متأخري الفقهاء مثل ذلك مانصه: واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الأمر لابل قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الأعرابي لها أسباب قد بسطت في محله وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعاً مأموراً به فقد كان عليه الصلاة والسلام يسئل في حياته المسألة فيعطىها وتكون محرمة في حق السائل حتى قال (اني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها ناراً) قالوا يا رسول الله فلم تعطهم؟ قال (يأبؤون إلا أن يسألوني) وبأبي الله تعالى لي البخل وقد يفعل الرجل العمل الذي يمتدحه صالحاً ولا يكون عالماً أنه منهي عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه (وهذا) باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على أنها مشروعة

لو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نهى عنها ثم القاعل قد يكون متأولاً أو مخطئاً مجتهداً أو مقلداً فيغفر له خطأه ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطئ وقد بسط هذا في غير هذا الموضع اهـ

وأما الآية الشريفة فقال الحافظ ابن عبد الهادي لم يفهم أحد من السلف ولا الخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو أراد وسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ثم لم يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة وتصل من الذنب (وهذه) كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي (وكان) هذا فرقا بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي (ومن) يقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت واقترب على الصحابة والتابعين وهم خير القرون على الإطلاق (هذا) الواجب الذي ذم الله سبحانه وتعالى من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من إمارات النفاق ووفق له من لا توبة له من الناس ولا يمد في أهل العلم وكيف أغفل هذا الأمر

أئمة الاسلام وهداة الانام من اهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم
لسان صدق في الامة فلم يدعوا اليه ولم يحضوا عليه ولم يرشدوا اليه ولم
يفعله احد منهم البتة بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة
فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفأة عما يحبه ويأمر به من
التوحيد والعبودية ولما كان هذا المنقول شجى في حلق البغاة وقذى
في عيونهم وريية في قلوبهم فابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل ومن
استحى منهم من اهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل وبأبى الله الا
أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد وتقوم الحجة على المعاند
فيعلي الله بالحق من يشاء ويضع برده وبطره وغمط أهله من يشاء وبالله
العجب كانت ظلم الامة لانفسها ونبيها حي بين أظهرها موجود وقد
دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء فلما
توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم
الى المجيء اليه ليستغفر له (وهذا لا يبين ان هذا التأويل الذي تأول عليه
المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً اولاً) كان حقاً لسبقونا اليه علماً وعملاً
وارشاداً ونصيحة ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد
السلف ولا عرفوه ولا بينوه للامة فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق
في هذا وضلوا عنه واهتدى اليه هذا المعترض المستأخر فكيف اذا كان
للتأويل يخالف تأويلهم ويناقضه وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب
في رده وانما تنبه عليه بعض التنبيه

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً أنه لا يشك مسلم ان من دعي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض

عن المجيء واباه مع قدرته عليه كان مذموماً غاية الذم مغموصاً بالنفاق ولا كذلك من دعي الى قبره ليستغفر له ومن (١) بين الامرين وبين المدعويين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله ورسوله وأمناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو انه سبحانه صدرها بقوله (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) وهذا يدل على ان مجيئهم اليه ليستغفروا اذ ظلموا أنفسهم طاعة له ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعد موته ان يذهب الى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفي الايمان عن لم يحكمه وتحكمه هو تحكيم ما جاء به حيا وميتا ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك انه قال «لا تجعلوا قبري عيداً» ولو كان يشرع لكل مذهب ان يأتي قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين وهذه مضادة صريحة لدينه وما جاء به اه ثم قال وأما قول المعترض :واما الآية وان وردت في اقوام معينين في حال الحياة فانها تعم بعموم العلة :فحق فانها تعم ماوردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه وجاءه كذلك واما دلالتها على المجيء اليه في قبره فقد عرف بطلانها وقوله وكذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين فيقال له من فهم هذا من سلف الامة وائمة الاسلام فاذا ذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة او التابعين او تابعي التابعين او الائمة

(١) لعله سقط من هنا كلمة (ساوي) أو كلام بمعناها

الاربعة او غيرهم من الائمة واهل الحديث والتفسير انه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته او عمل به او ارشدا اليه فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى ظاهرة البطلان وأما حكاية العتيبي التي اشار اليها فانها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين وليست بصحيحة ولا ثابتة الى العتيبي وقد رويت عن غيره باسناد مظلم كما بينا ذلك فيما تقدم وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما في مثل هذا الامر الذي لو كان مندوبا لكان الصحابة والتابعون اعلم به وأعمل به من غيرهم وبالله التوفيق اهـ

فان قيل قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ما رأيتم من خير حمدت الله وما رأيتم من شر استغفرت لكم» فالجواب ان حال الوفاة لا تقاس على حال الحياة وانه لا يعلم حال البرزخ الا الله ولا نريد على ما شرع لنا ولم يشرع لنا طلب الاستغفار منه بعد وفاته ولو كان مشروعا لبادر اليه الصحابة والتابعون وتابوهم ولم ينقل عنهم من ذلك حرف واحد ومن لا يسمعه ما وسعهم فلا وسع الله عليه

قال الهندي «والدليل الخامس قال الامام القسطلاني في كتابه المواهب الدنية ان التوسل بحضور النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة في عالم البرزخ ثابت بطرق كثيرة ثم الامام الممدوح يكتب قصة ويقول كان لي داء عجز عنه الاطباء الحاذقون كم سنين مضيت علي هذا قال ائمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة بمكة زادها شرفا ومن علي بالعود اليها في عاقبة بلا محنة فيينا أنا نائم اذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء

لدا أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن من النبي ثم استيقظت فلم اجديني والله شيئاً مما كنت اجدته شيئاً ببركة النبي صلى الله عليه وسلم:

اقول نص عبارة المواهب اللدنية هكذا (واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء) وفي كتاب مصباح الظلام في المستغِيثين بخير الانام في اليقظة والنام للشيوخ ابي عبد الله النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي ثم ذكر قصته السابقة وغيرها فانظر كيف حرف عبارة القسطلاني حتى في المعنى وهل في ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع هذا مما يحقق ان هذا الرجل من اجهل القصاصين وقد ذكر في كشف الظنون حكاية عن القسطلاني تدل على تدليسه في النقل اما قول القسطلاني فهو محل النزاع واما ما وقع له من الشفاء في المنام وكذا لغيره فلا يصالح للاستدلال فضلاً عن ان يكون دليلاً قطعياً فليس كل من قضت حاجته بسبب يقتضي ان يكون مشروعا، امورا به كما تقدم بيانه . وهنا نكتة طيبة وهي ان الوهم اكبر عامل في الانسان وهو عند ظنه بنفسه فتى تخيل المريض ان شفاؤه يكون في الشيء الفلاني انصرفت نفسه اليه وانفتحت مسامحة لتلقيه بأدنى مناسبة وانبعث دمه في جسمه لذلك وربما كان الوهم قاضياً على الصحيح كما هو مشاهد في أيام الوباء ثم اعلم ان كل من تعلق قلبه بشيء وشغف به أكثر من ذكره وشخصه في جميع أحواله ورآه في منامه على حسب استعداد خياله فينسج الخلق له أشياء عجيبة كما ترى ممن يغالي في شيخه أو وليه ومعتقده من أهل كل ملة ينسب اليه كل ما حصل له من خير أو صاب أو فرج من كرب نابه ويجعل كل ما صادفه من النجاح في أموره كرامة

(م ٧ - فصل المقال)

لمن يعتقد أنه ويذكر له المرائي الطويلة المريضة دون غيره كما أن الطالب المشغوف بكتابته والبحث فيه لا يرى في نومه إلا تصفح أوراقه والجدال مع رفقاته وربما انحل له الاشكال في منامه قال الرئيس ابن سينا في ترجمته عن نفسه ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهاً في المنام وذلك أن النائم إنما يحلم بالامور التي مرت عليه يقظة او قامت خيالاتها في ذهنه او خطرت بفكره او الامور التي اعتاد الخوف منها او الفرح بها . فالاحلام مرآة أفكار الانسان وصور تأثرات عقله وربما دلت على اعتدال مزاجه او اعتلاله . ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة ولكننا نقول لا ينبغي عليها حكم شرعي لانها قد تشبه على الرائي او تكون من تحزين الشيطان او مما يحدث به الرجل نفسه كما في الحديث وقد ذكر شيخ الاسلام في كتاب الفرقان شيئاً كثيراً من الاحوال الشيطانية مما يعترف به ارباب الدين قال رحمه الله تعالى ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق اما حي او ميت سواء كان ذلك الحي مسلماً او نصرانياً او مشركاً فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بهض حاجة ذلك المستغيث فيظن انه ذلك الشخص او هو ملك على صورته وانما هو شيطان اضله لما اشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له انا الخضر وربما اخبره ببعض الامور واعانه على بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ثم ذكر أموراً غريبة وقد ذكر الحكيم البيهقي في تاريخ الهند ما نصه (وتوجد رسالة لارسطوطاليس في الجواب عن مسائل

للبراهمة اقتضاها اليه الاسكندر اما قولكم ان من اليونانيين من ذكر أن
الاصنام تنطق وانهم يقربون لها القرابين ويدعون فيها الروحانية فلا علم
لنا بشيء منه ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به فانه ترفع عن رتبة
الاغبياء والعوام وإظهار أنه لا يشتغل بذلك اه وانما استرسل القلم في ذلك
لاسترسال الناس في هذا الباب حتى انه كل يوم يسدولنا فيه كتاب
وأظن ان أول من ألف في ذلك صاحب مصباح الظلام ذكر في خطبته
انه لما رأى كثيراً من العلماء الفوا كتباً كثيرة فيمن استغاث بالله وحصل له
الفرج بعد الشدة قصد أن يذكر ما وقع ممن استغاث بالنبي صلى الله وسلم
ولا ذبه لما قفل مع الحاج سنة ٦٣٩ والله اعلم

قال الهندي : « السادس قد ثبت في كتب الاحاديث بسند صحيح ان في زمن
سيدنا عمر رضي الله عنه لما قحط الناس ولم يطر وا كان عمر رضي الله عنه بحضور
الصحابة كلهم يتوسل بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا الله بالالفاظ
المندرجة في الذيل اللهم اسقنا بم نبيك فيقول الراوي فيسقوا حتى لم يدخلوا في
المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ منزلاً قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضله
انطق الله الحق عن لسان عمر » :

أقول نعم أنطق الله الحق على لسان عمر حتى في هذه المسئلة فحصل به
فصل الخطاب عند الأبواب فلو كان التوسل يلي به صلى الله عليه وسلم بعد
انتقاله من هذه الدار جائز لما عدل عنه الفاروق الى التوسل بعمه العباس
بحضور الصحابة رضي الله عنهم وهم في أمرهم فعدولهم هذا دليل واضح على
ان المشروع ما سلكوه فما أحسن الحجة اذا برزت من فم الخصم فيكون حاكماً بها
على نفسه . (فان قال هذا الحديث يدل على التوسل بالذات قلنا نعم لكن مع

الدعاء في الاستسقاء كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم يتوسل أصحابه بدعائه
وشفاعته لهم فيدعوا ويدعون معه ويؤمنون على دعائه ثم استشفوا من بعده بعمه
العباس كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا
تخطوا الاستسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا
صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيستقون
وقد بين الزبير بن بكار صفة ما دعا به العباس فأخرج بإسناده أن العباس
لما استسقى به عمر قال : اللهم انه لا ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا
بتوبة وقد توجه به في القوم اليك لمكانتي من نبيك وهذه أيدينا اليك
بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث : فأرخت السماء مثل الجبال
حتى أخضبت الارض وعاش الناس كما في الفتح ولهذا قال الفقهاء يستحب
الاستسقاء بأهل الخير والدين لانهم أقرب الى الاجابة والافضل أن يكونوا
من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد توسل معاوية لما فحط أهل
الشام بدعاء يزيد بن الاسود الجرشي التابعي الشهير لما اعتقد فيه الصلاح
وقبول الدعوة قال اللهم انا نستشفع اليك بخبارنا يزيد بن الاسود يا يزيد
ارفع يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا وما زالت هذه السنة
جارية الى هذا العهد في جميع البلاد الاسلامية في الاستسقاء كما انه لا يزال
طلب الناس الدعاء من الخبار ومن بعضهم بعضهم كما كان الصحابة رضوان
الله عليهم يطلبون منه الدعاء في حياته صلى الله عليه وسلم بل قال لعمر لما
خرج معتمرا : لا تنسنا يا أخي من دعائك : ومن هذا الباب استغاثة الناس
يوم القيامة بالانبياء ثم يذهبون اليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم فانها
هي طلبهم من الانبياء أن يدعوا الله تعالى ان يفصل بين العباد بالحساب

حتى يرجعهم من هول الموقف وحقيقة الشفاعة المأذون فيها ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم عقب دعاء الشافعين الذين اذن لهم في المشفوع له ليكرمهم على حسب مراتبهم وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرين وأما قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) فقال في الكشف في تفسيره اي هو ما لكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرضى وان يكون الشفيع مأذونا له وبالجمله فقد كان صلى الله عليه وسلم يشفع لأمة بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته ويطلب منه اصحابه ذلك فلما لحق بالرفيق الاعلى لم يطلب منهم أحد شيئا من ذلك وستطلب منه جميع الامم ذلك يوم القيامة ويكون لامته منه النصيب الاوفر عند حصول الاذن له من الله تبارك وتعالى كما وعده به من ذلك المقام المحمود فقد امتاز الله تعالى عن ملوك الدنيا في الشفاعة بانه لا يشفع عنده احد الا باذنه فهو مالك لها لا تطلب الا منه سبحانه وتعالى قال السويدي كما نقله عنه في جلاء العينين فينبغي لمن اراد ان يدعو بطلب الشفاعة أن يقول اللهم لا تحرمني شفاعة عليه الصلاة والسلام اللهم شفعه في ونحو ذلك ولو كانت تطلب منه صلى الله عليه وسلم الآن لجاز لنا ان نطلبها ايضا من وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والأفراط وهم أطفال المؤمنين والخبر الاسود اذ قد ورد انه يشفع لثل ربيعة ومضر وبالصالحين والجاز لنا ان ندعوم ونتجىء اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة لهم والاذن فيها فنصير اذن والمشركين الاولين في طريق واحد ولم تفرق الا بالاعمال الظاهرة كالصوم والصلاة وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها ومن

غير اعتقاد لحقيقتها ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل او فكرة فيها صبح من النقل انتهى وقد بين ان جل احوال المشركين من آلهتهم التوكل عليهم والاتجاه اليهم بشفاعتهم ظننا منهم أنها نافعة عنده تعالى فارجم اليه ان شئت

قال الهندي: «وايضاً قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين كأننا امرنا باتباع سنته وكان من سنته رضي الله عنه الدعاء من الله تعالى بتوسل الأولياء كأننا امرنا بابتغاء التوسل بالانبياء عليهم السلام والأولياء العظام فيه سرار خفية . بدق فهمها للاذهان الركيكة الا من كان له من الله تعالى قلب سليم وطبع مستقيم»

أقول انظر الى هذه العبارات الركيكة فاعلمك تفهم من المقال وجهة الكلام ان هذه أشبه بمقدمات منطقية كانه يقول سنة عمر في التوسل ثابتة وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي الخ سنة عمر ما مور باتباعها كسنته صلى الله عليه وسلم ونحن نقول كذلك نعمت السنة ونعم العمل بها من غير زيادة عليها ولا تصرف فيها ولا اخراج لها عن محلها فكل من عمل عملاً لم تجز عليه الصحابة فهو مردود على صاحبه وبثت البدعة تتولد عنها بدع ويتسع الخرق على الراقع فانظر ماذا تولد من القول بجواز التوسل بالانبياء والصالحين بعد مماتهم وماذا حدث من تشييد القبور وتحسينها من مفسد يبكي لها الاسلام كما قال الشوكاني منها اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار بالاصنام وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فعملوها مقاصد لطلب قضاء الحوائج والمطالب وسألوا منها مسألة العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال واستغاثوا بها وبالجمل لم يدعوا

شيثا مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام الا فعلوه فان الله وانا اليه راجعون ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لانجد من يغضب لله ويغار حية للدين الحنيف لاعالما ولا متعلما ولا اميرا ولا وزيرا ولا ملكا وقد توارد اليئنا من الاخبار ما لا يشك معه ان كثيرا من القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلغثم وتلكأ وابى واعترف بالحق وهذا من أبين الادلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة فياعلماء الدين وياملوك المسلمين اي رزه للاسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضرعليه من عبادة غير الله واي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة واي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا

لقد اسممت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نادوا تفتت بها اضاءت * ولكن انت تنفخ في رماد

وانظر إلى قوله إن في التوسل بالانبياء والاولياء اسرار اخفية يدق فهمها الا على صاحب القلب السليم فلو كان له قاب سليم لم ينفوه بهذا الكلام السقيم المشعر بأنه لم يسلم من شائبة الشرك الوخيم ولم يذق حلاوة الاخلاص لربه العليم فكل إناء بما فيه ينضح وقد اشرنا سابقا الى شيء من تلك الاسرار الدقيقة عند الازدهان الركيكة فتأمل وانظر كيف فانت هذه الاسرار الصعبة ومن بعدهم وخص بها هذا الهندي او غيره ممن حذا حذوه

قال الهندي: «ياشيخ ما لكم ان تقومون في المسائل الدينية عليكم بيان

عن الرز والاقشة ما علينا الا البلاغ هذا كلام بطريق الایجاز والاختصار وما خطر لي الآن بال والله أعلم بحقيقة الحال :

أقول من ذا الذي يمنع التاجر في الرز والاقشة وغيرها من طلب العلم والبحث مع أهله والارشاد بقدر ما علم حتى يكون عاملا به اليس فذلك من واجب العلم كما قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكيف يشمو العلم مع الانسان اذا لم يذكر به ويرشد اليه لكن بمقدار ما عنده ولا يتجاسر على القول بما لا يعلم مثل هذا الرجل الهندي الذي جعل نفسه في عداد الانبياء فقال ما علينا الا البلاغ وهو يلحن في كلامه ولا يفصح عن مراده وكيف يروي الحديث من لا يعرف علم العربية فأقل درجات المبلغ ان يكون مقتدرا على إفهام مخاطبه عن علم لا عن جهل واعلاها ان يكون مؤثرا عليه آخذا بمجامع قلبه مخاطبا لوجدانه مستخدما لعقله مقيما له الحجة مع صدق الحال اما هذا الهندي فليس عليه البلاغ بل عليه البلغة بالتعلم والوقوف عند ما يعلم ولا يزيد عليها ما لا يعلم ولا يحرم العلم على من يطالب العلم ويرغب فيه ويذكر أهله ويرشد جاهله تاجرا كان أو فقيرا سيدا كان أو عبدا وعلى هذا الهندي ترك الدعوى فانها فضيحة وان كانت صحيحة قال بعضهم الدعوى تطفىء نور المعرفة فالعالم الصادق من يتأدب بآداب العلم ويقف عند حده ويكل العلم الى عالمه ويقول رب زدني علما وكما افتتح له باب من العلم تصاغر في نفسه

قال الهندي: « العاقل يكفيه الاشارة والعاقل لا تنفعه النقارة مصراع من الشعر ان يصلح العطار ما أفسده الدهر آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين »:

أقول أتى بهذا المثل (العاقل تكفيه الإشارة) تمويها على السامع بأن علمه واسع وإن ما ذكره نقطة من بحر على حسب الإشارة مع أن هذا يخالف ما أورده في أول الرسالة بأن فيها البراهين القاطعة والحجج الساطعة وهو المطابق لاعتقاده والواقع في نفس الأمر أن ما ذكره هو غاية مبلغه من العلم في هذا المقام وهو أعظم ما عند غيره ممن حذا حذوه ونقل عنهم وقد بينا بحمده تعالى الجواب عن تلك الشبهة بيانا شافيا وبسطنا القول عما يتعلق بها فكان وافيًا كافيًا يستعين به من طالعه على دفع معظم ما أورده صاحب كتاب شواهد الحق في الاستفانة بخير الخلق لبعض أهل العصر فإنه لم يكبر حجمه إلا بالنقول المتكررة في معناها والحكايات المتضمنة للاستفانة والأشعار التي فيها وكان عليه أن يستوفي حقها وينقل ما فيها عن الشيخين ابن تيمية وابن القيم ثم برده حرفيا فإن كتبهما انتشرت الآن في الآفاق وأقبل عليها الخذاق وعسى أن بعض اخواننا يكفيننا المؤونة في رده خدمة للحق والحقيقة وعشاقها والله يوفق لإله سواء

وأما قول الهندي: مصراع شعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر: فلم ندر ماذا قصد به ولا نعيب عليه تكسير الشعر فإنه لا يعرف النحو فضلا عن العروض ولعله يعني التجارة فليوازن بين كلامنا وكلامه وليجب صاحب التجارة أن كان عالما ونحن مستعدون لقبوله أن ظهر الحق معه ومناقشته الحساب أن اخطأ الصواب فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها ولسنا نقول له

ان عادت المقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة

ولا نقول الا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولكن نقول من أحسن قلنفسه ومن أساء فعلها ونعمل ان شاء الله
بقوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي أحسن) والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(خاتمة)

قد ظهر مما قررناه ان السنة في التوسل باسمائه تعالى وصفاته
والاعمال الصالحة للداعي المتوسل وبدعاء الصالحين كما في الاستقاء وقد
تبين لك عذر المانعين من التوسل بالانبياء والصالحين بعد الممات وانهم
لم يقصدوا إلأسد الذريعة والوقوف عند نصوص الشريعة وان القائلين
بالتوسل بالذوات ليس لهم دليل الا ماورد من ان عمر استسقى بالعباس
رضي الله عنهما وقال كنا نتوسل اليك بنبينا الخ وقد علمت ان ذلك في
حياتهمما وانه من قبيل طالب الدعاء من الاختيار ومثل ذلك ما في حديث
الاعمى وحديث الشفاعة وليس محل النزاع انما هو بعد موت الذوات
وأما قياسهم لها على الاعمال او حال الحياة فمردود لوجود الفارق وهو
مظنة الفتنة والاستدراج في الغلو بالتعظيم مع ان العبادة بالتوقيف من
الشارع لا بد من سبب بين السائل والمسئول به ومجرد ذوات الانبياء
والصالحين ومحبة الله لهم وحصول الجاه لهم عنده ليس بها ما يوجب
حصول مقصود السائل كما سبق

وأما قول الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي في فتواه
بعد مقدمة فمن قال اللهم اني اتوسل اليك برسلك وأنبيائك ونحو ذلك
فانما يريد باجتباؤك وارتضاءك واصطفائك واختصاصك اياهم بالرسالة

والنبوة ونحو ذلك وهكذا صفات أفعاله تعالى فالتوسل بها ليس توسلا
 بغيره تعالى وجهت ذلك فلا فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء
 والأولياء ولا بين كونهم أحياء وأمواتا اه فالجواب عنه من وجهين الأول
 انه ليس كل قائل ذلك يعتبر هذا الاعتبار وان الكلام على حذف مضاف
 بل لابد أن يلحظ معه بقلبه توسلهم في قضاء حاجته وانهم يشفعون له عند
 ربه ويقربونه اليه وهذا ما نحاذره فان تخصيصهم بالذكر مظنة التفتة كمن
 يخص قبر وليه بالنحر عنده قائلا ان هذا صدقة عني أو عن روح هذا الولي فلم
 خص النحر بهذا الموضع ولم خصص هذا الولي دون غيره فان لسان
 الحال يقول * وفي النفس حاجات وفيك فطانة * الوجه الثاني ان ذلك ان
 جاز في التوسل بالأولياء هكذا اجمالا بغير تعيينهم فلا يجوز في المعين بدعوى
 أنه ولي لانه لا يجوز الحكم على أحد انه ولي الله فانه من الغيب الذي
 لا يعلمه الا الله كما في تفسير الحافظ ابن كثير فاذا علمت ان أمر العباد
 بالتوقيف والاتباع كما سبق فالوقوف عند المأثور والعمل به نور وجلاء
 لما في الصدور وفي الادعية الواردة الكفاية فما أحسن الوقوف عندها
 والدعاء بما لا خلاف فيه أفضل بالاجماع ومن أسباب قبوله وكيف توسل
 بالأنبياء والصالحين ولم تتابعهم فقد خالفناهم بهذا التوسل المبتدع الذي لم
 يشرع وكيف ندعي حبهم ولم نتابعهم والله يقول (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني)
 فلم يكن بيننا وبينهم هذا السبب الذي يربطنا بهم ويسوغ الوسيلة ومجرد
 سؤال الله بهم وبجواهرهم من غير اتباع لما جاء به الرسول لا ينفعنا سؤال
 الله بأحد من خلقه مكرهه كراهة تحريم على الأصح كما قال به جمهور العلماء
 لما فيه من الأقسام على الله بخلقته وهو تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات

فشأنه عظيم سبحانه وتعالى وأما ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه من أنه قال (رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره) فهذا من باب الحلف بالله سبحانه ليفعلن هذا الأمر فهذا إقسام عليه تعالى به ليس أقساما عليه بمخلوق على أن الأمر في التوسل بالانبياء والصالحين سهل إذا لم يتجاوزوه إلى غيره فإن أصل وضعه هكذا توسل إليك يا الله بجاه الانبياء أو بحقهم أو ما أشبه ذلك مع توجيه الطلب إلى الله منه سبحانه ولكن القول بذلك استدريج الناس إلى الخروج عن هذا الحد وادى إلى المكوف حول القبور ودعاء أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد واخذ تربتها تبركا واسراجها وتخليقها وغير ذلك كما قال اليماني

أعادوا بها معنى سواي ومثله يغوث وود بش ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحرروا في سوحها من بحيرة أهلت لغير الله جهلا على همد
وكم طائف عند القبور مقبلا ويلتمس الأركان منهم بالأيدي
فترى أحدهم قد اتخذ اسم وليه ذكرًا على لسانه من دون الله إن
قام وإن قعد وإن عزَّ ويزعم بأنه باب حاجته إلى الله ووسيلته إليه وهكذا
كان عباد الأصنام اتخذوا عائل الانبياء والملائكة وسائل ووسائط يدعونها
ويرجونها لتشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم وتقربهم منه زلفى ولم يعتقدوا
فيها الضر ولا كشفه ولا إمساك الرحمة عنهم قال في الاقتناع وشرحه من
كتب الخنايلة من جعل بينه وبين الله وسائط يدعونه ويتوكل عليهم
ويسألهم كفر إجماع لأن هذا كعمل عابدي الأصنام فانابن « ما نعبدكم
الا لتقربونا إلى الله زلفى » اهـ

فالطامة الكبرى هو دعاء غير الله الذي يسميه علماء السوء توسلا واستغاثة فان الدعاء عبادة خاصة به تعالى لا يجوز صرفه لغيره كالسجود والذبح وغيرهما ولم يرد في نوع من انواع الكفر والردة من النص ص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه فكفيه من آيات صريحة قال تعالى (واذا مس الانس ضر) الآية وقال (والذين تدعون من دونه ما يكون من قطعير ان تدعوهم) الآية وقال (فلا تدع مع الله الها) وقال (له دعوة الحق) والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ولو لم يكن في القرآن الا مجرد طلبه من خلقه لكان ذلك كافيا في كونه عباده فكيف اذا انضم الى ذلك النهي عن دعاء غيره تعالى وقد توعد خلقه على الاستكبار عن الدعاء كما جعل جزاءه الاجابة لما امرهم فقال (ادعوني استجب لكم) ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم والاستكبار هو تركه لان الدعاء هو اعتراف بالعبودية والدلالة والمسكنة فكان تاركه انما تركه لاجل ان يستكبر عن العبودية ولا يتحقق الدعاء الا اذا كان الداعي معولا بقلبه على تحصيل مطلوبه فمن دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله أو جاهه أو اقاربه أو اصدقائه أو جده أو اجتهاده أو وليه، فهو في الحقيقة مادعا الله الا بلسانه ما القلب فهو معول على تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا العبد مادعا الله كما قال ذلك بعض المفسرين فلا شك ان الدعاء من اجل الطاعات وأعظم العبادات بجميع معاني العبادة الاصطلاحية واللغوية فانها نهاية الخضوع والتذلل قال بعضهم انها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من دعاء ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وزكاة وصلة رحم وبر وقال الفقهاء كل ما أمر به شرعا من

خير اطراد عرفني ولا اقتضاء عقلي وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الدعاء مخ العبادة» وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الدعاء هو العبادة» ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قال الترمذي حديث حسن صحيح قال الشارح معنى قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة أي خالصها لان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع أمه مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص انتهى فمن صرف هذه العبادة لغير الله بأن دعا ميتا أو غائبا طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من قضاء حاجة أو تهربج كربه فقد أشرك قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته السنية لما تكلم على حديث الخوارج فاذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه قد انتسب الى الاسلام ممن قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب في هذا الزمان قد يمرق أيضا وذلك باور (منها) الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية بمثل ان يدعو من دون الله بأن يقول ياسيدي فلان اغثنني أو أنافي حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه آله آخر والذين يعملون مع الله الهه أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون انها تخلق أو ترزق وانما كانوا يدعونهم «ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» فبعث الله الرسل تنهى ان يدعوا من دونه يذالوا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة

انتهى . فعلى هذا من يعتقد فيمن يدعو النفع وانه له قدرة على اجابة المضطر
واغاثة الملهوف وقضاء حوائج السائلين يكون أشركه في الربوبية وذلك لم
يبالغه شرك المشركين من اهل الجاهلية من الاميين والكتابين بل هو
قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتديرا فالى الله المشتكى
من اناس يدخلون في باب التوسل دعاء غير الله مما يجري على السنة
الدائمة ويدافعون بالكبرة ويكذبون الوجدان والمحسوس ويخدعون
انفسهم ويغررون بخلق الله ولم أر من أولئك المدافعين من تنازل الى
القول بحريم ذلك الا القليل منهم علامة ثغرنا الشيخ علي باصبرين
الشافعي الحضرمي نزيل جدة قال رحمه الله في كتاب ارشاد كل العبيد
لخالص التوحيد ما نصه والذي اراد وهو الحق الذي عليه ان شاء الله
المعول في المسألة الاولى ان من قال يارسول الله مثلاً وهو يعلم ان المدعو
ليس له شرك في الملك ولا التأثير ولا التدبير ولا في اعانة على تحصيل
شيء من المنافع ولا دفع شيء من المضار ولا تحصل شفاعته عند الله له
من الغير ولا اغيره منه الا باذن الله ولا يملك لنفسه ولا يدفع عنها فضلاً
عن غيره موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا نفعاً ولا ضراً ولا عزاً ولا ذلاً
ولا غنى ولا فقراً ولا نصراً ولا قهراً مع كونه جازماً ان شفاعته وسؤال
الشافع والسائل له عند الله لا يغير شيئاً مما في علم الله ثبوتاً او نقيضاً فان ما
سبق في علمه تعالى لا يتغير بدعاء ولا شفاعته داع او شافع وانما فائدة
الدعاء والشفاعة حينئذ امثال الامر والتلذذ بخطابه تعالى وما شرع الدعاء
الا وقد أعد الاجابة وفق مراده تعالى وعلمه ولا يرى ان المدعو أرحم
أو أراف أو أجود أو أكرم أو أستر أو أسمع من الله تعالى لدعائه ولا

مثله لا يكفر ولا يشرك الكفر والشرك الجليين المخرجين له من دائرة الاسلام والايمان الذين هما حصن من خلود الجحيم لان مجرد دعاء غيره تعالى لا يوجب الكفر الجلي، وإنما فيه تفصيل يرجع الى الداعي والمدعو اليه فان سامت عقيدة الداعي كما ذكرنا نظر الى المدعو اليه فان كان مما جرت المادة فيه ان لغير الله فيه بحسب الظاهر دخلا كان قال عطشان يا فلان اسقني أو عاجز عن الركوب يا فلان احملني على دابتي أو من أقبل عليه عدوه لآخيه انصرني على عدوي أو أغثني جرت فيه الاحكام الخمسة لا الكفر الجلي وان كان مما لا دخل فيه لغير الله كيا فلان وفقني أو اغفر لي ذنوبي أو ادخاني في غفرتك أو اشترأبي لئلا يموت فهذا كله ونحوه كاجرتني من الله أو من عذاب الله أو أسعدني مما يحرم التفوه به مطلقا وهو الشرك الخفي ولا يخرج عن الدين ويخرج ويعزى مرتكبه هذا مع سلامة عقيدته الباطنة والا فهو كافر مطلقا قال أو لم يقل لا فرق بين المدعويين أن يكون حاضرا أو غائبا حيا أو ميتا رسولا أو نبيا أو غيرهما ذا روح أولا لما في تلك الالفاظ من ايهام غير واقع اذ لا يطلب ذلك الا منه كالحفظ من المكروهات والشفاء من الامراض ودفع الاستقام والنصرة الدائمة على الاعداء وان كان مما تجري المادة بطلبه من المخلوق مع سلامة عقيدة الداعي وامكان حصوله باذن الله من المدعو كيا فلان اشفع لي عند ربي وأسألك الشفاعة عند ربي مطلقا أو في حصول كذا مما يجوز طلب حصوله من الله عز وجل - فلا كفر جلي ولا خفي (نعم) هو خلاف الأولى والأولى انما هو اللهم شفع في فلانا بفضلك واحسانك واحسن منها اللهم بجاه فلان افعل لي أو بي كذا وكذا - واجل واعز

وأعظم التشفع والتقرب والتوسل اليه تعالى بذاته وصفاته وأفعاله
والاقسام بهن عليه تعالى أه - وقال في موضع آخر وإنما اطلاق
اللفظ الموم حرام فقط مع صحة العقيدة وهو الشرك الخفي أعني مطلق
معصية وليس ذلك شركاً جلياً مخرجاً لقائله عن دائرة الايمان
والاسلام كقوله شيء الله ياعمودي مثلاً والجملة على الله أو حامل الجوار
الله أو ما صدقت بالله يحصل أو يندفع لي أو عني له أو انظر الي فعل
القدرة أو القدرة فعالة أو بحق فلان على الله أو يسأل من النبي أو من
غيره مالا دخل في تدبيره لغير الله تعالى كقوله يا فلان اهدني اغفر لي
اصلح أعمالي اشفي ارزقني امطرنا أو من ذلك يا ولي الله جئنا اليك وحططنا
الذنب بين يديك فان هذه اللفاظ موهمة في ظاهرها غاف أضيف الى
ذلك فساد العقيدة فهو الكفر الجلي وان سلمت سلم من الكفر الجلي
وبقي عليه اثم الاتيان باللفظ الموم المعبر عنه بالشرك الخفي انتهى بحروفيه
فانظر الى تلك العقيدة الصحيحة التي أشار اليها في أول كلامه وانظر
الى حال من تصدر منهم تلك اللفاظ والى ما قدمناه والى ما نقله هذا
بنفسه عن الشيخ عبد الخالق الزجاجي الزبيدي مانصه وقد قال تعالى
في اثر سماء (أصبح من عبادي مؤمن وكافر أما من قال مطرنا بفضل
الله ورحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء
كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب) وقد ذهب العامة هذا المذهب
في الاولياء فان مرضوا قالوا هذا من فلان وان شفوا قالوا بركة سيدي
فلان فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله ونذروا لهم من
دون الله واستسقوا من دون الله فان أجرى الله تعالى الوادي قالوا

شيء لله يافلان وان قبض عنهم المطر قالوا حمقة فلان والله سبحانه القابض
الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده من ملك وملكوت ولو ذهبنا
نتكلم في الكتاب والسنة من التحذير عن ذلك لكان يرى الناس قد هلكوا
ولهذا تراهم أكثر اتباع الدجال فافهم هذه الجملة انتهى ...

فان قيل فما تقول فيما جاء من ذلك في أشعار الخاصة من أهل العلم والادب
والفطنة ممن تصدى لمذح النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين مما لا يأتي عليه
الحصر ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة فالجواب ان ذلك لم يقع من قائله الا لغفلة
وعدم تيقظ ولا مقصد له الا تعظيم جانب النبوة والولاية ولونه لتنبه
ورجع وأقر بالخطأ والشعر مبناه على المبالغة التي تخرج صاحبها عن الحد
واذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى فينبغي ارشاد الاحياء الى ما في
ذلك الكلام من الخلل ليحصل به التنبيه والتحذير لمن كان له قلب وألقى
السمع وهو شهيد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) كما قال ذلك الامام
الشوكاني في الدر النضيد في اخلاص التوحيد وينبغي نشره بلسان الطبع
وكذا كتاب تطهير الاعتقاد للسيد محمد بن اسماعيل الامير الصفاني وكذا
كتاب تجريد التوحيد للامام المقرزي صاحب الخطط وكذا كتاب سيف
الله على من كذب على اولياء الله لصنع الله الحلبي الحنفي وينبغي لفضلاء
العصر التفنن في الارشاد الى ذلك الموضوع بتأليف الرسائل الكثيرة
ونشرها بين الناس كما رأينا ذلك من بعض أرباب الهمم العلية كثر الله أمثالهم
كما انه ينبغي لولاة الامور وفقهم الله بعث الدعاة الى البادية واطراف البلاد
لنصح العامة وارشاد الجهة وسد الذرائع المفسدة وقطع عروق البدعة

ولنختم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب
المكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله
ووفقه الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك
التصرف ابتداء أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك
شيئاً آخر وهذا هو القول بالأسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على
خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (إنما أمرنا أن إذا
أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لا هبة كما
تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه
وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدره يخلق بها أفعاله ولا
كما تزعمه غلاة المهكمين في الأولياء من أن لهم التصرف وأن الله أعطاهم
تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعزلون ويذلون ... ولا أصالة ولا قائل
به (وما لهم فيها من شرك) بخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على
المعتزلة إذ العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم
من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل
ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) رد على الذين يقولون :
ما نعبدهم إلا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين أن الصالحين الذين نذهب
إلى قبورهم ونستجير بهم ونستغيثهم وإن لم يكونوا ملائكة ولا ظهراء ولا
شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال ولا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فكيف لنا معرفة من أذن له ؟ فإن نهاية
ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء والملائكة

والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد قول الانبياء نفسي نفسي ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويحييك باني أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لا ندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعاً إما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة [على انه آمن القواعد الشرعية أن من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضاً من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) أمر أن لا تعبدوا الاياه - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات؟ اثبتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم - فلا تدعوا مع الله أحداً - ان الذين تدعون من دون الله عبادةً شركاً (وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .ورواه الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال يا شيخ فلان أغني عني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين) . واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه فإطاعه مطلقاً فان الله سمى ذلك المطيع عابداً لذلك المطاع، ومتخذة ربا قال الله تعالى (لا تعبدوا الشيطان - يا أبت لا تعبد الشيطان - اتخذوا أحيارهم

ورهبانهم أرباباً - أرأيت من اتخذ إلهه هواه فاذن ليس لأحد أن يعبد غير الله ولا أن يدعو وليس العبادة إلا نهاية الخضوع والدعاء مع العبادة وأما من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالأحياء دون الأموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يجيزه زوياً على كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه أولى من هذه الحشية وسدا للذرائع لأن الجهلة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع أن الاستشفاع لا يكون إلا في يوم محض ووصى والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجوير مع ضعفها فأنها لا تفيد إلا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع بتره من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله وإياكم من المتبعين لا من المبتدعين انتهى . وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة يا شيخ عبد القادر شيء لله والكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند أبحاث شريفة في هذا المقام لا تقدر على إيرادها في هذه العجالة أما أهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت بلو لم يقيض الله أوثقك القوم لتلك النهضة لمكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الأفكار . وأما ما دار بينهم وبين الناس من القتال فتمد كان سببه من منعمهم الحج وتحرش بهم ووصل إلى ديارهم فجراً أهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة إلا بالله ومن نظر في كتبهم عرف

ما يفتريه الناس في حقهم وأن مرجعهم في الأحكام والاعتقاد إلى كتب السنة والتفسير ومذهب الإمام أحمد وطريقة الشيخين ابن تيمية ونليمذه ابن القيم فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الألباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحكم بينهم بما وصل إليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فإن الزمان قد ارتقى بالإنسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به إلى الحكم بما في الصدر الأول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم بين غير الأقران، والمعاصرين في الزمان قال العلامة ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين فإذا اظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومعه من كان زالت الوحشة وحصلت الألفة ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفر بك أو يدعك بالاحجة وذنبتك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الأودي صحبت معاذ باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله ابن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ثم سمعته يوم من الأيام وهو يقول سيأتي عليكم ولاية يؤخرون إلى إلهة على موافقتها فصلوا

الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر ف ضرب علي فخذي وقال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فمليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها [البيهقي وغيره وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكرا لقلّة أهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذّ شذ الله به في النار وما عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحدا منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نفر يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذ به بالسياط والمعقوبة بعد الحبس الطويل فلا اله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيّج لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله

عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً { انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث « وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل ومنهم الشعراي قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الأعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً وفي رواية عنه لو أن فقيهاً واحداً على رأس الجبل لكان هو الجماعة اهـ وحسبنا قوله تعالى { إن إبراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الأمة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول إن معاذاً كان أمةً قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيهاً له بإبراهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستكر
أن يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل ما ثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحة عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادات تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق بإذنك » انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »